ولذا لما وقع بعض الاولياء في معصية ثم قام يمشي على وجه الماء وسئل عن ذلك قال ذاك قضاؤه وهذا عطاؤه وبسط الكلام وتمام المقام في الذهب الابريز وغيره من كتب ائمة الاسلام فان اردت المزيد على ما هنا فارجع الى ذلك . هذا

وقد رأيت لسيدي عبد الغني النابلسي رضي الله تعالى عنه رسالة لطيفة في جواز اضافة التأثير الى الاسباب ذكر في كتابه النوافح الفائحة بروائح الرؤيا الصالحة ان سبب تأليفه للرسالة المذكورة هو انه قد جرى بينه وبين رجل من المنكرين على الاولياء الاموات كراماتهم بعد الموت وكان يخفي ذلك عنه كما حاوره الكلام فيه وان المؤلف نام تلك الليلة فرأي كأنه صنف رسالة في بحث كرامات الاولياء وصدور التأثير منهم في قضاء الحوائج بعد موتهم وسماها برد الجاهل الى الصواب في جواز اضافة التأثير الى الاسباب وانه عرضها على بعض اخوانه ففرح بها ثم استيقظ قال وكانت ليلة السبت الموافقة لثمانية وعشرين مضت من صفر سنة ١٠٩١ ثم لما اصبح اخذ القلم وصنفها وسماها بذلك الاسم في اقل من نصف يوم فكانت غاية في بيان الحق والصواب عند اولي الالباب وكان في عزمي ان اسردها هنا بحروفها لتستحضر فوائدها ولكن خشية التطويل صرفت العزم المذكور فاقتصر الآن على ايراد معظمها وان كانت في بعضه موافقة لبعض ما قدمته ليتقوى به ما ذكرته فاسمع الآن بلغنا الله تعالى المنى بامان

رسالة سيدى عبد الغنى النابلسي في جواز اضافة التأثير الى الاسباب

قال رضي الله تعالى عنه في طالعتها هذه رسالة عملتها في صحة نسبة التأثير الى شئ بحسب الظاهر على يد الانسان الولي وغيره من الميت والحي وان هذه النسبة مجازية واردة في الشرع لا يكفر القائل بها ولا مخالفة فيها لأصل

ولا فروع . ثم قال اعلم ايها المتصف في الدين السالك سبيل المتقين بالاخلاص
واليقين ان الاسباب التي وضعها الله تعالى في المخلوقات ليظهر عندها لا بها جميع
التاثيرات احال عليها الله تعالى في الكتاب والسنة وحذر منها مع انها لا تاثير
لها اصلاً في نفع ولا ضرر ولكن لما كان المؤثر هو الله تعالى وحده عندها لا بها
وقد اخبر الله تعالى انه اعطى كل شيء خلقه علمنا انه سبحانه لا يمنع شيئاً مقتضاه
اصلاً فعادته تعالى التي عودها لكل شيء جارية في كل حال ولا تخرق الامعجزة
لنبي او كرامة لولي او معونة لعامي او سحرا واستدراجا لكافر غوي والمؤثر في الكل
هو الله تعالى وحده على كل حال . ولكن الله تعالى لما اعتبر الاسباب في كتابه
وعلى لسان نبيه عليه الصلاة والسلام في الحديث الشريف وسلك على ذلك
الصحابيين والتابعين لهم بخير في كل زمان من المجتهدين والعلماء المحققين وجميع
عامة هذا الدين المحمدي وخاصتهم فوقع الامر باسباب والنهي عن اسباب
كالامر بالايمان والصلاة والصوم والحج والزكاة وغيرها من الطاعات والنهي
عن الكفر والمعصية بانواعها كشرب الخمر والزنا والقتل ونحو ذلك والله تعالى
مع شيء يخلق له مقتضاه على كل حال من الاشياء النافعة والاشياء المضرة ولا
تاثير لشيء اصلاً فلهذا صحت نسبة التاثير الى الاشياء نسبة مجازية والى المؤثر
الحق نسبة حقيقية وهو امر حق لا شبهة فيه اصلاً سواء كانت الاسباب شرعية
كالطاعات اسباب للخير والمعاصي اسباب للشر او كانت الاسباب عادية كالسكين
للقطع والنار للاحراق والطعام للشبع والماء للري ونحو ذلك او كانت الاسباب
عقلية كالفكر والنظر لاستفادة العلوم والادراكات والمؤثر فيها كلها هو الله تعالى
وحده على كل حال فهو تعالى خالق للاسباب كلها وجميع مسبباتها على حسب
ما يريد سبحانه كما قال تعالى (الله خالق كل شيء) وقال عزوجل (وخلق كل

شيء فقدره تقديرا) فالتمسك بالشريعة وحدها هو التمسك بالاسباب من حيث نسبة التأثير نسبة مجازية والتمسك بالحقيقة فقط هو التمسك بالله تعالى وحده بدون اسباب اصلاً من حيث نسبة التأثير اليه سبحانه نسبة حقيقية لكن الطريق الاول وحده موصل الى الشرك بالله تعالى والطريق الثاني وحده موصل الى الزندقة ونفي الشريعة والدخول في الباطنية المحضة . و يصدق على اهل الطريق الاول وحده واهل الطريق الثاني وحده قوله سبحانه (افتؤمنون ببعض الكتاب وتكفرون ببعض فما جزاء من يفعل ذلك منكم الا خزي في الحياة الدنيا و يوم القيامة يردون الى اشد العذاب وما الله بغافل عما تعملون) . والجمع بين الطريقين بالقيام بالاول في الظاهر و بالتحقيق بالثاني في الباطن فيتمسك بالاسباب الشرعية والعادية والعقلية ظاهرا و بالمسبب الحق باطناً فهذا هو الدين الحق والملة المحمدية الصادقة والشريعة الخالية من البدعة والحقيقة السالمة من الزيغ والضلال . وكل احد معين من اهل لا اله الا الله موصوف عندنا ظاهرا و باطناً بعين الطريقين ما لم يصرح بجحود واحدة منهما ولم نتحقق منه ارادة خلاف حقيقة كلامه فان وجد منه ذلك فانه حينئذ كافر عندنا بلا شبهة لانكاره الملة الاسلامية والطريقة المحمدية ولا نسيء ظناً باحد ولا نتجسس على احد . وكل كلام يظهر لنا من احد ممن يدعى الاسلام يخالف ما ذكرنا من الجمع المذكور نؤوله الى ارادة الجمع ولو الى سبعين وجهاً كما صرح بوجوب ذلك علينا النووي من ائمة الشافعية وذكره ائمة الحنفية في بحث المكفرات . اذا علمت هذا وتقرر عندك فاعلم ان الاسباب يجوز نسبة التأثير اليها بحسب الشريعة المحمدية بالاجماع بلا خلاف اصلا واما قول علماء الكلام بان من اعتقد ان الاشياء مؤثرة بنفسها فهو كافر او اعتقد بانها مؤثرة بقوة مودعة فيها فهو مبتدع فان ذلك

في الاعتقاد لا في نسبة ذلك اليها في الظاهر ثم استشهد بكلام الامام السنوسي في شرح مقدمته على كل من هذين الامرين . ثم قال فعلمنا من مجموع كلامه ومن غيره ايضاً ان نسبة التأثير الى الانسان وغيره لا تنافي اعتقاد الوحدانية في المؤثر الحق وهو الله تعالى وحده وانه لا التفات الى من شنع على عوام المسلمين في نسبة التأثير الى المشائخ الاولياء الاحياء والاموات والالتجاء اليهم والاحتماء بهم وطلب الحوائج منهم والتصريح بانهم يؤثرون في كل ما يقدرهم الله عليه ونداءهم عند الحاجات والاستغاثات كقولهم يا سيدي عبد القادر الكيلاني ويا شيخ ارسلان ونحو ذلك كما هو المعتاد مثل نداء الرجل الحي اذا احتيج اليه في معونة ولو كافراً او فاسقاً من غير نكير على ذلك من احد ولا خوف ان يكون ذلك خطأ فكذا هذا بل بالطريق الاولى على حد ما قال العلماء كما ذكرنا في عبارة الامام السنوسي رحمه الله تعالى المذكورة سابقاً ان السبب يؤثر والشرط يؤثر والمانع يؤثر مع ان هذا امور اعتبارية غير حسية ومفاهيم معنوية . قال وكذلك روحانيات الاولياء الموتى المتقدمين في الزمان الاول والمتأخرين اذا نسب التأثير اليهم كان ذلك صحيحاً لا خطأ فيه ولكن الجاهلون لا يعلمون ذلك . وقد رأينا من يحترز من ذلك كمال الاحتراز و يحذر الغير منه ولا يحترز ولا يحذر احداً من نسبة التأثير الى بقية الاسباب العادية بل لا يخطر له شئ من ذلك عند نسبة التأثير اليها وهو كمال الجهل و كثرة البغض والعداوة لاولياء الله تعالى وعدم رؤيتهم اهلا لمساوات الاسباب العادية وفي الحديث الشريف من عادى لي ولياً فقد اذنته بالحرب اي اعلمته اني محارب له ومن يحاربه الله فهو هالك لا محالة . ومن هذا حاله اذا سئل عن الطاعات والمعاصي التي يفعلها هو وغيره علم انها كلها افعال العباد وصادرة منهم وهي اعراض منتقلة من حركات

وسكنات ويصح عنده نسبة تأثير العباد فيها ونسبة تأثيرها في ثواب الله تعالى وعقابه يوم القيامة ٠ ومع ذلك اذا سمع العامي ينسب التأثير الى ولي من الاولياء الاموات حكم بكفره ولا يخطر له الحكم بالكفر على نفسه هو في نسبة التأثير الى العباد في افعالهم ونسبة التأثير الى افعالهم ايضاً كما ذكرنا ٠ وغاية ما يقول اني اذا نسبت التأثير الى العباد في افعالهم والى افعالهم في الجزاء عليها يوم القيامة اعلم كيف انسب ذلك واما العامي فانه جاهل لا يعلم كيف ينسب ذلك الى الاولياء الاموات فيكفره في تلك فيقال له هذا سوء ظن منك في عامة المسلمين وتجسس عليهم واستكشاف عن عوراتهم وهي معاص محرمة عليك تكفر باستحلالها اجماعاً بل لا فرق بين العامي وغيره في حق التكليف الشرعي ٠ ولعله يحكم بكفر العامي ايضاً اذا رآه ينسب التاثير الى العباد في افعالهم والى افعالهم ايضاً مثل ما ينسب هو ذلك فيكون مكفراً بما هو وارد في الشرع كما قدمنا وحسنه جهله ٠ فان انكر هذا الجاهل كون روحانيات الاولياء الاموات اسباباً بعد الموت لقضاء الحوائج للمسلمين وتدبير امور الخاصة والعامة يرد عليه بما هو المعلوم المعروف عند جميع المسلمين الذين هم على طريقة اهل السنة والجماعة المعتقدين كرامات الاولياء الاحياء والاموات وعدم معاداتهم لهم مما ظهر عندهم وانتشر بين خواصهم وعوامهم من قضاء الحوائج واجابة الملهوفين مما هو غني عن التصريح في البيان ٠ قال وقد اتفق في هذه السنة سنة ١٠٩١ ان رجلاً من الوعاظ انكر على اهل دمشق الشام قولهم يا شيخ ارسلان في وقت الاستغاثة في حوائجهم وشدد النكير عليهم في ذلك فرأى في منامه تلك الليلة الشيخ ارسلان فوضع يديه على راسه فاصبح مريضاً ثم سافر كذلك حتى مات بعد ايام بذلك المرض وقد سمعت من بعض الاصحاب ان ذلك الرجل كان ينكر على الشيخ الاكبر محيي

الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه · فان لم تحصل الكفاية بما ذكرناه في ثبوت المطلوب نؤيد ذلك بما نقله الشيخ ناصر الدين البيضاوي رحمه الله تعالى في تفسير سورة النازعات حيث قال في النازعات (١) انها صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع من الابدان غرقاً اي نزعاً شديداً من اغراق النازع (٢) في القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات · وقال الشيخ جمال الدين خليفة رحمه الله تعالى في حاشيته على تفسير البيضاوي قال الامام الرازي ان هذه الارواح الشريفة العالية لا يبعد ان يكون (٣) منها ما يكون لقوتها وشرفها فتظهر آثاراً واحداثاً في هذا العالم فهي المدبرات امراً أليس الانسان يرى استاذه في منامه ويساله عن مسئلة يرشده اليها أليس الابن قد يرى اباه في المنام فيهديه الى كنز مدفون أليس ان جالينوس قال كنت مريضاً فعجزت عن علاج نفسي فرايت في المنام واحدا فارشدني الى كيفية العلاج أليس الغزالي قدس سره قال ان الارواح الشريفة اذا فارقت ابدانها ثم اتفق انسان مشابه لذلك الانسان في الروح والبدن فانه لا يبعد ان يحصل للنفس المفارقة تعلق بهذا البدن حتى تصير كالمعاونة للنفس المتعلقة بذلك البدن على اعماله وتسمى تلك المعاونة الهاما ونظيرها في جانب النفوس الشريرة وسوسة · وقال العلامة شيخي زاده في حاشيته فان قيل قال

(١) قوله انها اي النازعات وما عطف عليها اه

(٢) قوله من اغراق النازع اي بلوغه غاية المد حتى ينتهي الى النصل يقال اغرق في القوس اي استوفى مدها وذلك بان ينتهي الى العقب الذي عند النصل الملفوف عليه والاستغراق الاستيعاب اه قرطبي

(٣) قوله ان يكون هي تامة وما يكون فاعلها كما لا يخفى اه مؤلفه

وسكنات ويصح عنده نسبة تأثير العباد فيها ونسبة تأثيرها في ثواب الله تعالى وعقابه يوم القيامة . ومع ذلك اذا سمع العامي ينسب التأثير الى ولي من الاولياء الاموات حكم بكفره ولا يخطر له الحكم بالكفر على نفسه هو في نسبة التأثير الى العباد في افعالهم ونسبة التأثير الى افعالهم ايضاً كما ذكرنا . وغاية ما يقول اني اذا نسبت التأثير الى العباد في افعالهم والى افعالهم في الجزاء عليها يوم القيامة اعلم كيف انسب ذلك واما العامي فانه جاهل لا يعلم كيف ينسب ذلك الى الاولياء الاموات فيكفره في تلك فيقال له هذا سوء ظن منك في عامة المسلمين وتجسس عليهم واستكشاف عن عوراتهم وهي معاص محرمة عليك تكفر باستحلالها اجماعاً بل لا فرق بين العامي وغيره في حق التكليف الشرعي . ولعله يحكم بكفر العامي ايضاً اذا رآه ينسب التاثير الى العباد في افعالهم والى افعالهم ايضاً مثل ما ينسب هو ذلك فيكون مكفراً بما هو وارد في الشرع كما قدمنا وحسنه جوله . فان انكر هذا الجاهل كون روحانيات الاولياء الاموات اسباباً بعد الموت لقضاء الحوائج للمسلمين وتدبير امور الخاصة والعامة يرد عليه بما هو المعلوم المعروف عند جميع المسلمين الذين هم على طريقة اهل السنة والجماعة المعتقدين كرامات الاولياء الاحياء والاموات وعدم معاداتهم لهم مما ظهر عندهم وانتشر بين خواصهم وعوامهم من قضاء الحوائج واجابة الملهوفين مما هو غني عن التصريح في البيان . قال وقد اتفق في هذه السنة سنة ١٠٩١ ان رجلاً من الوعاظ انكر على اهل دمشق الشام قولهم يا شيخ ارسلان في وقت الاستغاثة في حوائجهم وشدد النكير عليهم في ذلك فرأى في منامه تلك الليلة الشيخ ارسلان فوضع يديه على رأسه فاصبح مريضاً ثم سافر كذلك حتى مات بعد ايام بذلك المرض وقد سمعت من بعض الاصحاب ان ذلك الرجل كان ينكر على الشيخ الاكبر محيي

الدين بن العربي رضي الله تعالى عنه٠ فان لم تحصل الكفاية بما ذكرناه في ثبوت المطلوب نؤيد ذلك بما نقله الشيخ ناصر الدين البيضاوي رحمه الله تعالى في تفسير سورة النازعات حيث قال في النازعات (١) انها صفات النفوس الفاضلة حال المفارقة فانها تنزع من الابدان غرقاً اي نزعاً شديداً من اغراق النازع (٢) في القوس فتنشط الى عالم الملكوت وتسبح فيه فتسبق الى حظائر القدس فتصير لشرفها وقوتها من المدبرات ٠ وقال الشيخ جمال الدين خليفة رحمه الله تعالى في حاشيته على تفسير البيضاوي قال الامام الرازي ان هذه الارواح الشريفة العالية لا يبعد ان يكون (٣) منها ما يكون لقوتها وشرفها فتظهر آثاراً واحداثاً في هذا العالم فهي المدبرات امراً أليس الانسان يرى استاذه في منامه ويساله عن مسئلة يرشده اليها أليس الابن قد يرى اباه في المنام فيهديه الى كنز مدفون أليس ان جالينوس قال كنت مريضاً فعجزت عن علاج نفسي فرايت في المنام واحداً فارشدني الى كيفية العلاج أليس الغزالي قدس سره قال ان الارواح الشريفة اذا فارقت ابدانها ثم اتفق انسان مشابه لذلك الانسان في الروح والبدن فانه لا يبعد ان يحصل للنفس المفارقة تعلق بهذا البدن حتى تصير كالمعاونة للنفس المتعلقة بذلك البدن على اعماله وتسمى تلك المعاونة الهاما ونظيرها في جانب النفوس الشريرة وسوسة ٠ وقال العلامة شيخي زاده في حاشيته فان قيل قال

(١) قوله انها اي النازعات وما عطف عليها اه

(٢) قوله من اغراق النازع اي بلوغه غاية المد حتى ينتهي الى النصل يقال اغرق في القوس اي استوفى مدها وذلك بان ينتهي الى العقب الذي عند النصل الملفوف عليه والاستغراق الاستيعاب اه قرطبي

(٣) قوله ان يكون هي تامة وما يكون فاعلها كما لا يخفى اه مؤلفه

الله تعالى (ان الامر كله لله) فكيف اسند التدبير في الامور هاهنا الى غيره
فالجواب ان الله تعالى لما خلق الاشياء بحيث تترتب عليها المصالح المتعلقة بها
كان الامر كله لله وصح اسناد التدبير اليها من حيث كونها مخلوقة على الوجه
المذكور . قال وانما قيد يعني البيضاوي النفوس بالفاضلة لان النشاط الى عالم
الملكوت والسباحة فيه والسبق الى حظائر القدس وتدبير النفوس القاصرة انما
يتصور من النفس الفاضلة فان النفوس البشرية الخالية عن العوائق الجسمانية
المتشوقة الى الاتصال بالعالم العلوى بعد خروجها من ظلمة الاجساد فتذهب اليه
على اسرع الوجوه في روح وريحان فعبر عن ذهابها على هذه الحالة بالسباحة ثم
لا شك ان مراتب النفوس الفاضلة في النفرة عن الدنيا والاتصال بعالم القدس
مختلفة فكلما كانت اتم في هذه الاحوال كان سيرها الى ذلك العالم اسبق وكلما
كانت اضعف كان سيرها اثقل ولا شك ان الارواح السابقة اليه اشرف فلا
جرم وقع القسم حيث قال (والسابقات سبقاً) ثم ان هذه النفوس الشريفة
لا يبعد ان يظهر منها لشرفها وقوتها آثار في هذا العالم فتكون مدبرات الا ترى
ان الانسان قد يرى في المنام ان بعض الاموات يرشده الى مطلوبه اه كلام
شيخي زاده

فان قيل ان كلام البيضاوي في النفوس الفاضلة حال المفارقة اي التجرد
والسلوك في الحياة الدنيا قبل الموت وهو المسمى رياضة (١) عند الصوفية
فلا يكون فيه دلالة على ان ارواح الاولياء الاموات المدبرات بعد موتهم .
فالجواب انه لو كان مراد البيضاوي ذلك ما قال بعده او حال سلوكها فانها تنزع

(١) وهي تطهير الظاهر والباطن بالاجتهاد في العبادة والترقي في المعارف الالهية اه لمؤلفه

عن الشهوات فتنشط الى عالم القدس فتسبح في مراتب الارتقاء فتسبق الى الكمالات حتى تصير من المكملات (١)۰وقال شيخي زاده في ذلك وقوله او حال سلوكها عطف على حال المفارقة اي انها صفات نفوس حال سلوكها۰ ويؤيد ذلك ما ذكره العلامة ابن كمال باشا رحمه الله تعالى في شرح الاحاديث الاربعين التي جمعها فقال في الحديث الثالث قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا تحيرتم في الامور فاستعينوا من اصحاب القبور ۰ اعلم ان تعلق النفس بالبدن تعلق يشبه العشق الشديد والحب التام فاذا مات الانسان وفارقت النفس هذا البدن فذلك الميل يبقى وذلك العشق لا يزول الا بعد حين وتبقى تلك النفوس عظيمة الميل الى ذلك البدن قوية الانجذاب اليه ولهذا نهي عن كسر عظم الميت ووطیء قبره ۰ فاذا تقرر هذا فالانسان اذا ذهب الى قبر انسان كامل الجواهر شديد التأثير ووقف هناك ساعة وتاثرت نفسه من تلك التربة حصل لنفس هذا الزائر تعلق بتلك التربة وقد عرفت ان لنفس ذلك الميت ايضاً تعلقاً بتلك التربة فحينئذ يحصل بين النفسين ملاقاة روحانية وبهذا الطريق تصير تلك الزيارة سبباً لحصول المنفعة الكبرى والبهجة العظمى لروح الزائر ولروح المزور فهذا هو السبب الاصلي في شرعية الزيارة ولا يبعد ان يكون اسرار اخرى ادق واحق بالقبول واحرى ۰ قال الامام الرازي في المطالب العلية سمعت ان اصحاب ارسطاطاليس كلما اشكل عليهم بحث غامض ذهبوا الى قبره وبحثوا في تلك المسئلة فيزول الاشكال وسر هذا ان نفس الزائر ونفس المزور شبيهتان بمرآتين صقيلتين وضعتا بحيث ينعكس الشعاع الى الاخرى فكلما حصل في نفس الزائر

---

(١) قوله من المكملات بصيغة اسم الفاعل او المفعول والظن الاول لانه تفسير للمد[illegible]ات (اه) مؤلفه

الحي من المعارف والعلوم والاخلاق الفاضلة من الخضوع لله تعالى والرضا بقضائه ينعكس منه نور الى روح الانسان الميت وكما حصل في نفس ذلك الانسان الميت من العلوم المشرقة والآثار القوية الكاملة فانه ينعكس منها نور الى روح هذا الزائر الحي . فقال صاحب الاعلام بالمام الارواح بعد الموت بمحل الاجسام ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام مع كونهم في السماء قد ينقلون عنها الى غيرها احيانا بامر الله تعالى فيكون لهم المام بقبورهم او غيرها ولا يلزم في ذلك استمرارهم في القبور احياء . ولا ينبغي ان يظن انقطاع التفاتهم الى قبورهم ولا ارتفاع التعلق بينها وبينهم بدليل استحباب زيارتها في عامة الاوقات وما ذلك الا ان بينها وبينهم علاقة مستمرة غير منقطعة فلها بهم اختصاص خاص والله اعلم بكيفية ذلك الاختصاص وكذلك بين قبور سائر المؤمنين وبين ارواحهم نسبة خاصة مستمرة فيعرفون بها من يزور قبورهم ويردون السلام على من يسلم عليهم . ويدل عليه ما ذكره الحافظ عبد الحق الاشبيلي في كتاب العاقبة عن ابي عمر بن عبد البر انه ذكر من حديث ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يمر بقبر أخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا الا عرفه ورد عليه السلام وهو صحيح الاسناد . ثم قال وقد اخبرني الشيخ فخر الدين غضنفر التبريزي رحمه الله تعالى انه لما توفي شيخه الشيخ تاج الدين التبريزي كان يشكل عليه مسائل يطيل الفكر فيها ويبذل المجهود في حلها فلا ينحل شيء منها قال فكنت آتي قبر شيخي الشيخ تاج الدين وأتوجه اليه واجلس عنده كما كنت اجلس في حياته بين يديه واتفكر في تلك المسائل فتنحل لي حينئذ ولا تنحل في غير ذلك المكان قال وقد جربت ذلك مراراً الى هنا كلامه . فان قيل قد طعن بعضهم في حديث اذا تحيرتم في الامور فاستعينوا

باصحاب القبور · فالجواب ان الحديث اذا كان ضعيفاً او موضوعاً لا يضرنا في الدلالة على مقصودنا فان ذكر ابن الكمال له وتكلمه على معناه يكفينا في ثبوت المدعي وحسبنا هذه العبارات التي نقلها في شرح الحديث وان كان الحديث غير صحيح فان العبارات صحيحة · ويؤيد ذلك ما روي عن الامام علي كرم الله وجهه انه سئل عن العالم العلوي فقال صور عالية (لعلها عارية) عن المواد خالية عن القوة والاستعداد وتجلى لها فاشرقت مطالعها فتلألأت فالقى في هويتها مثاله واظهر عنها افعاله وخلق الانسان ذا نفس ناطقة فان زكاها بالعلم والعمل فقد شابه بها جواهر اوائل عالمها فاذا فارقت الاضداد فقد شارك بها السبع الشداد · فاذا علمت هذا كله فلا تتوقف في صحة نسبة التاثير في قضاء الحوائج والتدبير في احوال الخلق الى ارواح الاولياء الاموات اصحاب القبور المنيرة بانوار الاعمال الصالحة التي عملوها في الدنيا · وعليك بزيارتهم وطلب الحوائج منهم والاستشفاء ببركاتهم والاستغاثة بهم في جميع الامور وندائهم عند الشدائد يا شيخ عبد القادر يا شيخ محيي الدين ونحو ذلك ولا يصدك وسوسة نفسانية ونزغة شيطانية سمعتها من منكر جاهل مع انك لا تتوقف في نفسك اصلاً اذا صدرت لك حاجة ان تقصد في قضائها حاكماً ظالماً او رجلاً فاسقاً وانت غافل في ذلك الوقت عن كون الامور كلها بيد الله تعالى وان كنت مؤمناً بذلك وكذلك تقصد الاستشفاء بدواء مخصوص تعتقد انه يشفيك وتنفر عن الاستشفاء بارواح الاولياء الموتى فكأنهم اخس شيء عندك ولا حول ولا قوة الا بالله العلي العظيم انتهى ما اردناه من رسالة السيد عبد الغني النابلسي رحمه الله تعالى · وكيف نمنع الاستنجاد بالصالحين مع ان سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد سهر ليلة فلما اراد ان ينام طلب لحراسة نفسه الشريفة رجلاً صالحاً من امته حتى

اتاه لذلك سعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه فدعى له رسول الله صلى الله عليه وسلم ونام وهو يحرسه حتى سمع غطيطه كما رواه البخاري ومسلم واصحاب السنن وغيرهم ولفظ الحديث الشريف عن عبد الله بن عامر بن ربيعة القرشي العنزى رضي الله تعالى عنه قال سمعت عائشة رضي الله تعالى عنها تقول كان النبي صلى الله عليه وسلم سهر فلما قدم المدينة قال ليت (١) رجلا من اصحابي صالحا يحرسني الليلة اذ سمعنا صوت سلاح فقال عليه الصلاة والسلام من هذا فقال انا سعد بن ابي وقاص جئت لاحرسك فدعا له رسول الله صلى الله عليه وسلم ونام حتى سمعنا غطيطه اه . وما هذا الاعلى ما جرت به العادة من الاحتراس بالامور العادية والتشريع للبرية والا فهو صلى الله عليه وسلم محفوظ ومعصوم

فصل — الجواب عن الشبهة الثانية

واما الجواب عن شبهة المانعين للتوسل التي هي الشبهة الثانية فهو ان يقال لهم ان الذي زعمتموه لايقتضي التوسل مطلقا ولا يقتضي منع الطلب من موحد مسلم لانه يحمل على المجاز العقلى اذا صدر من موحد كما مر بيانه فلا وجه لكونه شركا ولا لكونه محرماً فلو قلتم ان ما يصدر عند ذلك من العوام خلاف الأدب واجزتم التوسل والطلب وشرطتم فيهما ان يكونا بالأدب والاحتراز من الالفاظ الموهمة لربما كان له وجه واما المنع مطلقا فلا وجه له اصلاً . على ان طلب ما لا يقدر عليه الا الله تعالى وهو الخارق للعادة من المخلوق . قد دل كل من الكتاب والسنة على عدم منعه اذا كان في مقام المعجزة والكرامة للانبياء والاولياء . قال الله تعالى عن نبيه سليمان صلى الله عليه وعلى

(١) قوله حرف تمنى وهو على التحقيق حالة نفسانية يلزمها الطلب اه مؤلفه

نبينا وسلم (يا أيها الملأ ايكم يأتيني بعرشها قبل ان يأتوني مسلمين) فطلب من الملا وهم الجن والانس ان يأتيه احدهم بعرش بلقيس على وجه مخالف للعادة لايقدر عليه الا الله تعالى ولذا لما قال لهم (عفريت من الجن انا آتيك به قبل ان تقوم من مقامك) وكان مقامه (اي مجلسه للحكومات) من الضحوة الى قريب العصر قال سليمان كما ورد في الصحيح أريد اسرع من ذلك (فقال له الذي عنده علم من الكتاب) وهو في قول الجمهور المعتمد آصف بن برخيا الانسي وكان كاتبا لسليمان وهو ولي بلا شك (انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) اي قبل رمش العين ثم اتاه به في هذه المدة القصيرة جدا مع ان العرش المذكور كان بسبأ بارض اليمن وسليمان كان بالشام والمسافة بينهما ثلاثة اشهر وكان اتيانه به من تحت الارض وهو سرير مكلل بالجواهر والذهب ولم ينكسر ولم يتخلخل منه شئ حال الاتيان به في تلك اللحظة . وقد ذكر الله تعالى هذه القصة في مقام المدح ولم يعتب على سليمان عليه السلام ولم يقل له لم دعوت غيري في هذا الامر الخارق للعادة (وانا اقرب اليك من حبل الوريد) وعبيدى غير قادرين على هذا الامر ولا يقدر عليه الا انا وذلك لان سليمان عليه الصلاة والسلام يعلم ان ذلك من التماس الاسباب وهو من المشروع الذي امر الله تعالى به ونظير ذلك الطلب من الانبياء والصالحين فانما هو من نوع الكرامة والسبب والفاعل الحقيقي في ذلك هو الله تعالى وكرامة الاولياء داخلة في فضائل الانبياء لانها بواسطتهم تكون للاولياء بسبب متابعتهم للانبياء عليهم الصلاة والسلام المتابعة التامة كما مر بيانه وفي الدرر البهية لسيدي خليل الخضري الرشيدي الشافعي ما صورته . وروي ابن ابي الدنيا ان سليمان قال لصاحبه لما احضر العرش قد رايتك ترجع شفتيك فما قلت قال قلت الهي واله كل شئ الها واحدا لا اله الا انت ائت به فان قات

هلا دعى سليمان عليه السلام ربه واستغنى عن وزيره قلت ثبت في الآثار انه تعالى قال لموسى عليه السلام ياموسى ادعني بلسان ما عصيتني به فقال يا رب كيف ذلك فقال معناه ان يدعو لك غيرك اي فدعا والغير لك اشد تأثيراً في انجاح حاجتك من دعائك فمن ثم التمس سليمان مع انه نبي وابن نبي دعاء وزيره لحضر العرش من مسيرة شهرين للمجد في سفره في هذه المدة اللطيفة فسر سليمان بذلك ثم قال وهذه الآية من ادل وقوع الكرامة للاولياء واحتمال كون ذلك معجزة لسليمان يبعده السياق كما ترى اه

وقد سبق ان الاسرائيلي قال لموسى عليه الصلاة والسلام اغثني من هذا القبطي وانصرني عليه وانه اجابه لذلك ولم يكفره بهذا الطلب · وثبت ان سيدنا قتادة رضي الله تعالى عنه طلب من النبي صلى الله عليه وسلم ردّ عينه مكانها حين سقطت على خده فاجابه لذلك ايضاً وفي هذا كله حصول طلب ما لا يقدر عليه المخلوق منه ولم نسمع ان احداً انتقد ذلك ابدا معاذ الله تعالى · ولمّا قال عيسى عليه السلام لقومه بامر الله تعالى له (اني اخلق لكم من الطين كهيئة الطير فانفخ فيه فيكون طيرا باذن الله) الى آخره طلب منه قومه كما في الحديث الصحيح عند الامام الخازن وغيره ان يخلق لهم الخفاش لكونه اكمل الطير خلقاً كما قيل ففعل وكان يطير وهم ينظرونه فاذا غاب عن اعينهم سقط ميتاً ليتميز الفعل المنسوب للعبد مجازيا على سبيل المعجزة عن فعل الخالق الحقيقي جل شانه · وطلبوا منه ايضاً احياء سام بن نوح عليه السلام وكان قد مضى من موته اربعة آلاف سنة فاحياه وكل هـذا ليس في قدرة المخلوقات بل من خوارق العادات · ولما طلب قوم مريم منها الجواب عن حال عيسى حين ولدته وهي بكر عذراء صالحة اشارت اليه للجواب في ذلك الحين وتكلم بما قصة الله تعالى

في كتابه المبين · وصح ايضاً طلب الرجل الذي دعاه النبي صلى الله عليه وسلم الى الاسلام منه احياء ابنته فاحياها وشهدت له بالرسالة الى غير ذلك مما لكثرته لا يحصي · وقد جاء في الشريعة المطهرة ما لا يستقصى من حث الناس على عفو بعضهم عن بعض وتراحمهم وتناصرهم وتعاونهم وغفران بعضهم لبعض سواء كان بطلب بعضهم من بعض ام لا قال تعالى (قل للذين آمنوا يغفروا للذين لا يرجون ايام الله) وقال ايضاً (فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردماً) وقال ايضاً (واستعينوا بالصبر والصلاة) وقال ايضاً (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال ايضاً (وان استنصروكم في الدين فعليكم النصر) الآية وقال ايضاً (وان تعفوا وتصفحوا وتغفروا فان الله غفور رحيم) ومر حديث من اراد عوناً او غوثاً فليقل ياعباد الله اعينوني وفي رواية اغيثوني ورواه الطبراني بلفظ اذا ضل بعير احدكم او اراد غوثاً وهو بارض لا انيس فيها فليقل ياعباد الله اغيثوني فان لله عبادا لا نراهم كما في البدر المنير للشعراني وغيره وفي رواية عند الحافظين الجزرى والسيوطى فليقل ياعباد الله احبسوا وقال صلى الله عليه وسلم ارحموا من في الارض يرحمكم من في السماء وقال ايضاً من لا يرحم لا يرحم ومن لا يغفر لا يغفر له وقال ايضاً انصر اخاك ظالما او مظلوما وقال ايضاً ارحموا ترحموا واغفروا يغفر لكم · وفي تاريخ الاسحاقي عن انس بن مالك رضى الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من اغاث ملهوفا كتب الله له ثلاثا وسبعين مغفرة واحدة منها فيها صلاح امره كله وثنتان وسبعون درجات له يوم القيامة انتهي ولما انزل الله تعالى على بني اسرائيل انواع العذاب من القمل والضفادع والدم آيات مفصلات كانوا كل مرة يقولون ياموسى لئن كشفت عنا الرجز لنؤمنن لك فنسبوا كشف العذاب الى موسى عليه السلام مع انه لا يقدر عليه الا الله تعالى لكن لما كان بدعائه نسب

اليه على طريق السبب فالطلب من الانبياء والاولياء جائز في الحياة و بعد الممات ولو فيما لا يقدر عليه الا الله تعالى لان الفاعل الحقيقي هو الله سبحانه والذي يصدر على يدهم كرامة وهي الامر الخارق للعادة ولا يقال للشيء خارق للعادة الا اذا كان لا يقدر عليه الا الله فكيف يسوغ لابن تيمية واتباعه كالالوسي وولده نعمان ان يمنعوا ذلك من غير دليل وكيف يكفرون من يفعله مع انهم لو ارادوا ان يستدلوا للمنع فضلا عن التكفير بحديث واحد ولو ضعيفاً ما وجدوا اليه سبيلا البتة ولو كان الطلب منهم ونداؤهم عبادة كما يزعمه المفترون لمنع النبي صلى الله عليه وسلم الناس منه لان العبادة لغيره تعالى ممنوعة قطعاً فنعوذ بالله تعالى من العمى والضلال

حديث — اذا سألت فاسأل الله الخ

واما ايصاء النبي صلى الله عليه وسلم ابن عباس رضى الله تعالى عنهما بقوله اذا سألت فاسأل الله واذا استعنت فاستعن بالله وكذا ايصاؤه صلى الله عليه وسلم طائفة من اصحابه ان لا يسألوا الناس شيئاً حتى كان احدهم يسقط السوط من يده فلا يقول لاحد ناولني اياه فانما هو ارشاد منه صلى الله عليه وسلم الى درجة التوكل والتفويض اليه الصرفة وانه لاينافيه تعاطي الاسباب او المعنى اذا سألت مخلوقا فاعتقد ان المسئول حقيقة هو الله تعالى واذا استعنت باحد فاعتقد ان المستعان به في الحقيقة كذلك جمعا بين الادلة حتى توفي حقها الواجب لها وحينئذ فاحتجاج ابن تيمية ومن تابعه بذلك على المنع(١) جمود محض اذ يجوز للشخص عند الحاجة وعدم الصبر سؤال الناس والاستعانة بهم كما علم مما مر . وقد ورد ايضاً في الحديث الحسن عند ابي يعلى والطبراني والبيهقي اطلبوا الخير

(١) اي منع الطلب من المخلوق راسا اه

عند حسان الوجوه . وثبت عند ابن عساكر وغيره اطلبوا الحوائج بعزة الانفس فان الامور تجري بالمقادير . وقد سأل الناس ثلاثة من الانبياء موسى والخضر وسليمان في موضع الضرورة كما بسطه الامام الغزالي في الاحياء . وقد تقدم لك حديث طلب النبي صلى الله عليه وسلم رجلا صالحا من امته يحرسه حتى ينام المروي عند البخاري ومسلم في صحيحيهما وعند اصحاب السنن وغيرهم ايضاً فاستفد ذلك . وقال العلامة الشيخ داود في الجواب عن استدلال المانعين للتوسل والاستغاثة من غيره تعالى بقوله جل شأنه (اياك نعبد واياك نستعين) وبقوله صلى الله عليه وسلم لابن عباس اذا استعنت فاستعن بالله واذا سألت فاسأل الله ان هذا الدليل عام في الاحياء وغيرهم ولا يختص باهل القبور كما يزعمه اولئك الحمقى ومعناه رفع الهمة (١) عن المخلوق فهو اولى لمن اراد والا فالصحابة كانوا يستعينون بالنبي صلى الله عليه وسلم وببعضهم بعضاً بل امر الله تعالى بالتعاون فقال (وتعاونوا على البر والتقوى) وقال (واستعينوا بالصبر والصلاة) وقال تعالى عن ذي القرنين (فاعينوني بقوة اجعل بينكم وبينهم ردما) وفي الحديث والله في عون العبد ما دام العبد في عون اخيه وقال تعالى (والذين في اموالهم حق للسائل والمحروم) وقال

---

(١) قوله رفع الهمة عن المخلوق الخ ولذلك قال الامام فخر الدين الرازي في تفسير سورة يوسف تحت قوله اذكرني عند ربك اعلم ان الاستغاثة بالناس جائزة في الشريعة الا ان حسنات الابرار سيآت المقربين فهذا وان كان جائزا لعامة الخلق الا ان الاولى بالصديقين ان يقطعوا نظرهم عن الاسباب بالكلية وان لا يشتغلوا الا بسبب الاسباب والذي جربته من اول عمري الى آخره ان الانسان كلما عول في امر من الامور على غير الله تعالى صار ذلك سبيلا الى البلاء والمحنة والشدة والرزية واذا عول العبد على الله تعالى ولم يرجع الى احد من الخلق حصل ذلك المطلوب على احسن الوجوه فهذه التجربة قد استمرت من اول عمري الى هذا الوقت الذي بلغت فيه السابع والخمسين فعند هذا استقر قلبي على انه لا مصلحة للانسان في التعويل على شيء سوي الله تعالى اه ملخصه

ايضاً (واما السائل فلا تنهر) وفي الحديث اعطوا السائل ولو جاء على فرس فمن قال ان السؤال من غير الله تعالى والاستغاثة بغيره لا يجوز فقد هدم الشريعة وان قال الحي تجوز الاستغاثة به والسؤال منه والميت لا يجوز معه ذلك . قلنا هذا تحكم فان الدليل عام ولم يقصد النبي صلى الله عليه وسلم نهي ابن عباس عن سؤال واستغاثة الاموات فقط وان قالوا الحي له قدرة كاسبة قلنا وكذلك الميت له قدرة كاسبة اقلها الدعاء . وقد ورد مستفيضاً ان الاموات يدعون للاحياء تفضل الله تعالى عليهم بذلك والظاهر ان معنى قوله صلى الله عليه وسلم اذا سألت فاسأل الله الخ اي اولا فيكون سؤالك لغيره واستغاثتك بغيره ثانيا ويحتمل ان المعنى ولو سألت غيره او استعنت بغيره فاعلم ان الحقيقة له فلا تغفل حال طلبك التسبب من غيره عنه تعالى وانا اتعجب لمن يورد هذا الحديث والآية على منع السؤال والاستغاثة من اهل القبور بمعنى التوسل بهم مع ان الاستغاثة بانبياء الله تعالى واوليائه انما هي استغاثة بالله تعالى في الحقيقة ولهذا قال الصحابة كنا نتقي برسول الله صلى الله عليه وسلم في حال البأس وشدة الامور كما هو الوارد عنهم وكون الاستغاثة تكون في الحياة ولا تكون في الممات ترجيح بلا مرجح لان القدرة لله تعالى في الحالين لاشريك له كيف وقد امرنا الله تعالى بالاستغاثة بالاعراض فقال تعالى (واستعينوا بالصبر والصلاة) فلما كانت مأمورا بها كانت كانها استعانة بالله على ان ما استدل به المانع من الحديث المذكور لا يصح فانه خصص عاماً مع ان آخر الحديث يدل على حصول النفع والضر من المخلوقين بما كتبه الله تعالى وقدره وذلك قوله صلى الله عليه وسلم واعلم ان الامة لو اجتمعت على ان ينفعوك بشيء لا ينفعوك الا بشيء قد كتبه الله لك ولو اجتمعت على ان يضروك بشيء لا يضروك بشيء قد كتبه الله عليك فاثبت سبحانه وتعالى لهم نفعاً وضراً

لكن بما كتبه الله تعالى للعبد وعليه وفي صحيحي البخاري ومسلم انه صلى الله عليه وسلم قال لسعد بن ابي وقاص رضي الله تعالى عنه ولعلك ان تخلف فينتفع بك ناس ويضربك آخرون وحينئذ فنسبة الافعال الى غير الله تعالى مع اعتقاد ان ذلك الغير هو الفاعل استقلالاً من دون الله تعالى كفر باتفاق واما مع اعتقاد انه تعالى هو الفاعل الحقيقي فلا يضر جزماً لوروده في الشريعة وكلام العرب كما مر بسطه فافهم اه مع يسير حذف وزيادة

﴿ فصل — رد الشبهة الثالثة من شبه المانعين للتوسل ﴾

واما شبهتهم الثالثة فمردودة بما رواه البيهقي وابن ابي شيبة باسناد صحيح عن مالك الدار وكان خازن عمر رضي الله تعالى عنه قال ان الناس اصابهم قحط في خلافة عمر رضي الله تعالى عنه فجاء بلال بن الحارث رضي الله تعالى عنه وكان من اصحاب النبي صلى الله عليه وسلم الى القبر الشريف وقال يارسول الله استسق لامتك فانهم قد هلكوا فاتاه رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام واخبره انهم يسقون فكان كذلك وفيه ائت عمر فاقرئه السلام واخبره انهم يسقون وقل له عليك الكيس الكيس اي الرفق لانه رضي الله تعالى عنه كان زائد الشدة في دين الله تعالى فاتاه فاخبره فبكى ثم قال يارب ما آلوا الاما عجزت عنه . وليس الاستدلال بالرؤيا للنبي صلى الله عليه وسلم كما لايخفى فان رؤياه وان كانت حقاً كما مر لاتثبت بها احكام لامكان اشتباه الكلام على الرائي لا لشك فيها . وانما الاستدلال بفعل الصحابي وهو بلال بن الحارث المذكور فان اتيانه لقبر النبي صلى الله عليه وسلم ونداؤه له وطلبه منه ان يستسقي لامته واقرار عمر رضي الله تعالى عنه له مع بقية الصحابة دليل واضح على ان ذلك جائز وهو من باب التوسل والتشفع والاستغاثة به صلى الله عليه وسلم

المعهودة عند الصدر الاول وذلك من اعظم القربات كما مر مستوفي ويرد شبهتهم المذكورة ايضاً ما مرلنا عن العتبي وما مر ايضاً عن السمعاني وما جاء عن الاصمعي وقد تقدم لنا ايضاً . وقد ذكر للسيد السمهودي شيئاً كثيرا مما وقع للعلماء والصالحين من الشدائد فالتجؤا الى النبي صلى الله عليه وسلم فحصل لهم الفرج وكذا الامام القسطلاني والحافظ الزرقاني وغيرهما فانظر ذلك ان شئت في خلاصة الوفا والمواهب وما كتب عليها . وما حكاه ابو محمد الاشبيلي قال نزل برجل من اهل غرناطة علة عجز الاطباء عنها فكتب عنه الوزير كتابا الى رسول الله صلى عليه وسلم يسأله فيه الشفاء لدائه وضمنه شعرا فلما وصل الركب الى المدينة الشريفة وقرئ على رسول الله صلى عليه وسلم الكتاب بما فيه من الشعر برئ الرجل مكانه . وذكر ابن القيم في كل من كتاب الكبائر وكتاب السنة والبدعة له ان الشيخ الحافظ السلفي بكسر السين نزيل الاسكندرية حدث بسنده الى يحيي بن عطاف للعدل انه حكي عن شيخ دمشقي جاور بالحجاز سنين قال كنت بالمدينة في سنة مجدبة فخرجت يوماً الى السوق لاشتري دقيقا برباعي قال فاخذ الدقاق رباعي وقال العن الشخصين حتى ابيعك الدقيق فامتنعت من ذلك فراجعني مرات وهو يضحك فضجرت منه وقلت لعن الله من يلعنهما قال فلطم عيني فسالت على خدي فرجعت الى المسجد النبوي وكان لي صديق جاور بالمدينة سنين فسألني عما جرى لي فاخبرته فقام معي الى الحجرة المقدسة فقال السلام عليك يارسول الله قد جئناك مظلومين فخذ بثارنا ثم رجعنا فلما جن الليل نمت فلما استيقظت وجدت عيني صحيحة احسن ما كانت الى آخر ما قال اه فانظر يا اخي الى نقل هذه الحكاية من مثل ابن القيم وذكره لها في مقام الافتخار والزجر عن الرفض ونقلها عن اكبر المحدثين الحافظ السلفي الذي يرجع الى حله

في نقد الحديث وفي الدين فانه يدل على ان الاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم مما لا بأس بها وانها غير منكورة ولا يحرم فعلها والا لكان لا يسطرها بالصفة السابقة ونقل في الكتابين المتقدمين ايضاً عن الشيخ كمال الدين ابن العديم في تاريخ حلب قال اخبرني ابو العباس احمد بن عبد الواحد عن شيخ من الصالحين يعرف بعمر بن الزعيني قال كنت مقيما بمدينة الرسول صلى الله عليه وسلم فخرجت في بعض السنين في يوم عاشوراء الذي تجتمع فيه الامامية لقراءة مصرع سيدنا الحسين اي عزائه رضي الله تعالى عنه في قبة العباس فوقفت عليهم وقلت اريد شيئاً في محبة ابي بكر وعمر او قال في محبة الصديق وحده قال فخرج الي واحد منهم وقال اجلس حتى افرغ قال فلما خرج اخذ بيدي ومضى بي الى منزله وانا اظن انه يعطيني شيئاً فقال ادخل فدخلت فسلط علي عبدين فكتفاني واوجعاني ضرباً ثم امرهما بقطع لساني فقطعاه ثم قال اخرج الى الذي طلبت لاجله ليرد عليك لسانك فخرج من عنده فجاء وهو يستغيث بقلبه من الوجع الى حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وجعل يقول يا رسول الله قطع لساني في محبة صاحبك فان كان صاحبك حقاً فاحب ان يرجع الي لساني وبات هناك يستغيث بقلبه قال فاخذته سنة من النوم فاستيقظ فوجد لسانه في فيه صحيحا كما كان الى آخر ما قال وذكر مثل ذلك العلامة المحقق في الزواجر فانظر رحمك الله تعالى الى هذه الحكاية كيف اثبتها ابن القيم في عدة من تآليفه مستحسنا لها مستدلا بها على فضيلة الشيخين وزاجرا عن الرفض وليس العمدة نفس الحكاية بل هي مع تلقي مثل ابن القيم لها بالقبول مع ان فيها الاستغاثة برسول الله صلى الله عليه وسلم ولم ينكرها ولا قال ان هذا المستغيث كافر ولا مشرك ولا آثم ولو لم تكن هذه الحكاية عنده معتبرة ثابتة بنقل العدول لتركها من اصلها وانما ذكرها في مقام الافتخار

بكرامة الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم وشرف اصحابه رضى الله تعالى عنهم ولا يرد هذا الاغبي خبيث شقي كما قاله العلامة الشيخ داود رحمه الله تعالى . وفي كلام العلماء والاولياء من التوسل والاستغاثة والتشفع به صلى الله عليه وسلم نثرا ونظما ما لا يحصى ولم نعلم ان احداً عاب عليهم شيئاً من ذلك اصلاً . وحادثة سيدي احمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه وهي طلبه عام حج من النبي صلى الله عليه وسلم مد يده الشريفة له ليقبلها وحصول ذلك له بمحضر من المسلمين الذين لا يتأتى اجتماعهم على خلاف الحق كما ستعلمه مستفيضة متواترة مروية بالاسانيد الصحيحة التي لا مطعن فيها كما نص عليه غير واحد من الائمة هداة الامة كالحافظ ابن الحاج الواسطي والحافظ تقي الدين الانصاري والامام الوتري والعلامة المناوي والحجة الشهاب الخفاجي والامام الرافعي في مختصره والفاروثي في نفحته والامام الجزري والامير محمد الحسيني المدني والسيد سراج الدين والحافظ السيوطي في كتابه التنوير وغيره ومن لا يحصى من السادة الصوفية حتى افردت بالتاليف فيحضرني الآن منها رسالة الحافظ السيوطي التي سماها الشرف المحتم ونصها

رسالة السيوطي الشرف المحتم فيما من الله به على وليه

(السيد احمد الرفاعي من تقبيل يد النبي صلى الله عليه وسلم)

(بسم الله الرحمن الرحيم) الحمد لله وكفى وسلام على عباده الذين اصطفى اما بعد فقد وقع السؤال عن مديد النبي صلى الله عليه وسلم من قبره الشريف الى الولي الكبير الامام الشهير مولانا السيد احمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه هل هو ممكن ام لا وهل اسانيد هذه الرواية المشهورة عالية صحيحة . والجواب عن هذا السؤال المذكور حررته بهذا الكتاب وسميته الشرف المحتم فيما من الله به على وليه السيد احمد الرفاعي رضي الله تعالى عنه من تقبيل يد النبي صلى

الله عليه وسلم . واول ما اقول ان حياة النبي صلى الله عليه وسلم هو وسائر الانبياء معلومة عندنا قطعياً لما قام عندنا من الادلة في ذلك وقام بذلك البرهان وصحت الروايات وتواترت الاخبار وقد كتبت في حياة الانبياء كتاباً مخصوصاً وبسطت فيه الادلة والاخبار وها انا اذكر لك بعضها . منه ما اخرجه ابراهيم في الحلية عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم مر بقبر موسى عليه الصلاة والسلام وهو قائم يصلي فيه . واخرج ابو يعلى في مسنده عن انس ان النبي صلى الله عليه وسلم قال الانبياء احياء في قبورهم يصلون . ولا يخفى ان الله جمع لنبينا وسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم مرتبة النبوة والشهادة بدليل ما اخرجه البخاري والبيهقي عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم كان يقول في مرضه الذي توفي فيه لم ازل اجد الم الطعام الذي اكلت بخيبر فهذا اوان انقطاع ابهري من ذلك السم فثبت كونه عليه الصلاة والسلام حياً بنص قوله تعالى (ولا تحسبن الذين قتلوا في سبيل الله امواتاً بل احياء عند ربهم يرزقون) والانبياء أولى بذلك من الشهداء ونبينا اولى من جميع الانبياء عليهم صلوات الله وسلامه اجمعين لما من عليه به من المعاني الفائقة والخصائص الزكية . وقد افرد الرجال الاثبات حياة الانبياء جميعاً وقد راى نبينا صلى الله عليه وسلم جماعة منهم وانهم في الصلاة واخبر وخبره صدق ان صلاتنا معروضة عليه وان سلامنا يبلغه وانه يرد على من يسلم عليه السلام . وسئل البارزي عن النبي صلى الله عليه وسلم هل هو حي بعد وفاته فاجاب انه صلى الله عليه وسلم حي . وكان سعيد بن المسيب رضى الله تعالى عنه ايام الحرة لا يعرف وقت الصلاة الا بهمهمة يسمعها من قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم . واخرج الزبير ابن بكار في اخبار المدينة عن سعيد بن المسيب قال لم ازل اسمع الاذان والاقامة

في قبر رسول الله صلى الله عليه وسلم ايام الحرة حتى عاد الناس · وقال اليافعي عفيف الدين الاولياء يرد عليهم احوال يشاهدون فيها ملكوت السموات والارض وينظرون الانبياء احياء غير اموات كما نظر النبي صلى الله عليه وسلم الى موسى عليه الصلاة والسلام في قبره · قال وقد تقرر ان ما جاز للانبياء معجزة جاز للاولياء كرامة بشرط عدم التحدي قال ولا ينكر ذلك الاجاهل · ونصوص العلماء في حياة الانبياء كثيرة لا تحصى فلنكتف بهذا المقدار · وحيث ان الحياة ثبتت وسماع كلامهم ورؤيتهم عليهم الصلاة والسلام صح وقوعها عند الاولياء · فخروج يد النبي صلى الله عليه وسلم لسيدي السيد احمد بن الرفاعي رضي الله تعالى عنه ممكن ولا يشك فيه الاذو زيغ وضلالة او منافق طبع الله على قلبه وان انكار هذه المزية ومثلها يؤدي الى سوء الخاتمة حمانا الله لما فيه من انكار المعجزة الدائمة والكرامة الباهرة · حدثنا شيخ الاسلام الشيخ كمال الدين امام الكاملية عن شيخ مشايخنا الامام العلامة الهمام الشيخ شمس الدين الجزرى عن شيخه الامام الشيخ زين الدين المراغى عن شيخ الشيوخ البطل المحدث الواعظ الفقيه المقرى المفسر الامام القدوة الحجة الشيخ عز الدين احمد الفاروثي الواسطي عن ابيه الاستاذ الأصيل العلامة الجليل الشيخ ابي اسحاق ابراهيم الفاروثي عن ابيه امام الفقهاء والمحدثين وشيخ اكابر الفقهاء والعلماء العاملين الشيخ عز الدين عمر ابي الفرج الفاروثي الواسطي قدست اسرارهم اجمعين · قال كنت مع شيخنا ومفزعنا وسيدنا ابي العباس القطب الغوث الجامع الشيخ السيد احمد الرفاعي الحسيني رضي الله تعالى عنه عام خمس وخمسين وخمسمائة العام الذي قدر الله له فيه الحج فلما وصل مدينة الرسول صلى الله عليه وسلم وقف تجاه حجرة النبي صلى الله عليه وسلم وقال على رؤس الاشهاد السلام عليك ياجدي فقال له عليه الصلاة والسلام وعليك

السلام ياولدي سمع ذلك كل من في المسجد النبوي فتواجد سيدنا السيد احمد وارعد واصفر لونه وجثى على ركبتيه ثم قام وبكي وان" طويلاً وقال ياجداه

في حالة البعد روحي كنت ارسلها تقبل الارض عني وهي نائبتي
وهذه دولة الاشباح قد حضرت فامدد يمينك كي تحظى بها شفتي

فمد له رسول الله صلى الله عليه وسلم يده الشريفة العطرة من قبره الازهر المكرم فقبلها في ملأ يقرب من تسعين الف رجل والناس ينظرون اليد الشريفة وكان في المسجد مع الحجاج الشيخ حياة بن قيس الحراني والشيخ عبد القادر الجيلي المقيم يبغداد والشيخ خميس والشيخ عدي بن مسافر الشامي وغيرهم نفعنا الله تعالى بعلومهم وشرفنا معهم برؤية اليد المحمدية الزكية وفي يومها لبس الشيخ حياة بن قيس الحراني خرقة الشيخ السيد احمد الكبير واندرج في سلك اصحابه . ومن طريق آخر حدثنا الشيخ محمد العلي عن الشيخ ابي الرجال اليونيني البعلبكي عن الشيخ عبد الله البطائحي القادري عن الشيخ على بن ادريس اليعقوبي عن شيخه القطب الفرد الشيخ عبد القادر الجيلي ثم البغدادى قال كنت في محفل الكرامة التي اكرم الله بها الشيخ احمد الكبير الرفاعي بتقبيل يد النبي صلى الله عليه وسلم قال اليعقوبي فقلت اي سيدى اما حسده على هذه الكرامة من حضر من الرجال فبكي رضي الله تعالى عنه ثم قال يا ابن ادريس على هذا يغبطه الملأ الأعلى . ومن طريق آخر حدثنا الامام القوصى عن الشيخ قطب الدين ناظر الخزانة عن الشيخ ركن الدين السنجاري عن شيخه عدى ابن مسافر وعن خادمه الشيخ على بن موهوب قال كنا في مسجد النبي صلى الله عليه وسلم عام حجنا وكان الشيخ احمد بن الرفاعي رضى الله تعالى عنه واقفا تجاه الحجرة الطاهرة وقد تكلم بكلمات ضبطها عنه جماعة فما اتم كلامه الا وقد مدت له يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها ونحن ننظر

مع الحاضرين قال ابن موهوب والله كأني بها وقد خرجت من القبر المبارك يدٌ
بيضاء سوية طويلة الاصابع كأنها البرق المضيء وكانى بالحرم واهله وقد كاد يميد
وقد كادت تقوم قيامة الناس لما الم بهم من الدهش والحيرة والهيبة والسلطان
المحيدي وقد قام الرحب وقعد بتكبير الناس وصلاتهم عليه صلى الله عليه وسلم
ومن المعلوم ان هذه المنقبة المباركة بلغت بين المسلمين مبلغ التواتر وعلت اسانيدها
وصحت رواياتها واتفق رواتها وانكارها من شوائب النفاق معاذ الله ٠ (فائدة)
ان قيل يدخل السيد احمد رضي الله تعالى عنه في الصحابة لكون هذه المنقبة اثبتت
له وللزوار بسببه رؤيا النبي صلى الله عليه وسلم ٠ الجواب الذي عليه مشايخنا انه
محل نظر والاصح عدم الدخول وبهذا قال السخاوي والفراء وغيرهما لان الحجة
استمرار حياته عليه الصلاة والسلام وهذه الحياة اخروية ليست بدنيوية لا تتعلق
بها احكام الدنيا ٠ وقد ثبت ان السيد احمد رضي الله تعالى عنه لما حج ثانيا في
العام الذي توفي فيه وزار القبر الطيب الطاهر على ساكنه افضل صلوات الله
وسلامه قال وهو تجاه القبر بانكسار ومسكنة

ان قيل زرتم بما رجعتم يا اكرم الرسل ما نقول

فظهر صوت من القبر الشريف سمعه كل من في المسجد المبارك يقول

قولوا رجعنا بكل خير واجتمع الفروع والاصول

ولا غرابة فى هذا فان الحبيب عليه الصلاة والسلام كان يخاطب كل قوم
بلسانهم وجوابه للحميري عن قوله ام من امبر صيام فى امسفر حين قالها على لغة
حمير واضعاً محل اللامين من البر والسفر ميمين معلوم مشهور وجوابه الى السيد
احمد رضي الله تعالى عنه من هذا القبيل فافهم ٠ والذي ادين الله به ان السيد
احمد بن الرفاعي الشريف الفاطمي الحسيني رضي الله تعالى عنه كان جبلاً راسخاً

وبطلاً جحجاحاً وولياً عظيماً وبحراً من بحار السنة عجاجاً وسيداً سنداً انتهت اليه رياسة طريق القوم وانعقد عليه اجماع العلماء والاولياء وقال بتقديمه وتقدمه رجال عصره كافة ومشي اكابر قادات عصره تحت لواء ارشاده تمكن من الاتباع للنبي عليه الصلاة والسلام وصح فيه قدمه فانتهى اليه التواضع ومكارم الاخلاق

هيهات ان يأتي الزمان بمثله ... ان الزمان بمثله لبخيـل

نفعنا الله تعالى بعلومه وامداده وحاله وارشاده وجعلنا الله في زمرته مع اخوانه اولياء الله تعالى تحت لواء نبيه صلى الله عليه وسلم وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين

هذا آخر الرسالة نفع الله تعالى بها . وما احسن قول العارف بالله تعالى سيدي الشيخ تقي الدين الفقيه النهوندي من قصيدته الطويلة التي امتدح بها شيخه السيد احمد الرفاعي المذكور عام عوده من الحج الشريف سنة مد اليد النبوية الكريمة له قدس سره

مـد طه يمينه للرفاعي ... فانجلت عندها له الاشياء

يا لها من يمين قدس نزيه ... يشتهي شم عطرها الانبياء

قد تجلى الله المهيمن لما ... ظهرت وازدهت لذاك السماء

ومنهـا

لا تقل كيف تم هذا وايقن ... بفضل الله ربنا ما يشاء

واهجر المارقين واعذر اذا ما ... انكر الشمس مقلة عمياء

ايكون النبي ميتاً وفي القر ... آن احياء وبها الشهداء

ويد اليمين لابن الرفاعي ... حجة في مقامها سمحاء

شهدتها المساء آلاف قوم ... ورآها الاقران والاكفاء

صار ذاك المساء صباحاً فما … اعجب يوماً فيه الصباح مساء

فرح الدين والهدى وطريق … الحق بل والشريعة الغراء

وتعالى شأن النبي المفدى … وتلاشت بطبعها الاهواء

فصل — رد الشبهة الرابعة من شبه المانعين للتوسل

واما شبهة المنكرين الرابعة فجوابها ان المؤمنين ما اتخذوا الانبياء والصالحين آلهة قط ولا جعلوهم شركاء لله تعالى في شيء ابداً كيف وهم يقولون بالسنتهم معتقدين بقلوبهم لا اله الا الله وحده لا شريك له وفي الحديث المعروف يأتي على الناس زمان لا يعرفون فيه صلاة ولا صياماً ولا حجاً ولا عمرة الا الشيخ الكبير والعجوزة الكبيرة يقولون ادركنا اباءنا يقولون لا اله الا الله فقيل لحذيفة رضي الله تعالى عنه ما تغني عنهم لا اله الا الله قال تنجيهم من النار تنجيهم من النار تنجيهم من النار انتهى . فعقيدة المؤمنين في الانبياء والصالحين انهم عبيد مخلوقون لله تعالى ولا يعتقدون فيهم الوهية ولا استحقاقهم العبادة بوجه من الوجوه اصلاً ولا يفعلونها لهم ابداً كيف وهم عالمون علم اليقين بأن العبادة لا تكون الا لله وحده . واما المشركون الذين نزلت فيهم الآيات القرآنية فكانوا يعتقدون استحقاق اصنامهم الالوهية والعبادة ويفعلونها لهم ويعظمونها تعظيم الربوبية وان كانوا يعتقدون انها لا تخلق شيئاً كما ينادي على ذلك ذكر العبادة في تلك الآيات وليس منها النداء للاموات كما يزعمه الاغبياء وسيتضح لك رد ما زعموه فلم يكن مجرد قول المشركين (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) مكفراً لهم كما ظنه الجاهلون بل انما جاءهم الكفر من عبادتهم لهم واعتقادهم فيهم انهم ارباباً من دون الله تعالى كما صرحت به الآيات واما المؤمنون فليسوا بفضل الله تعالى كذلك بل يعتقدون ان الانبياء والصالحين عباد الله واحباؤه اصطفاهم

فاعتقاد المسلمين ان الخالق النافع الضار المستحق للعبادة هو الله تعالى وحده ولا يعتقدون التأثير واستحقاق شيء من العبادة لاحد سواه تعالى كما قدمناه مفصلاً و يعتقدون ان الانبياء والصالحين لا يخلقون شيئاً ولا يملكون ضرًّا ولا نفعاً وانما يرحم الله تعالى العباد ببركتهم · فاعتقاد المشركين استحقاق اصنامهم الالوهية او العبادة وفعلهم اياها لهم هو الذي اوقعهم في الشرك لا مجرد قولهم (هؤلاء شفعاؤنا عند الله) ونحوه لانهم لما اقيمت عليهم الحجة بأن الاصنام لا تستحق العبادة قالوا ما ذكر معتذرين عن اعتقادهم المذكور فكيف يجوز للوهابيين ان يجعلوا المؤمنين الموحدين مثل أولئك المشركين الذين يعتقدون الوهية الاصنام او استحقاقها العبادة لتشفع لهم او تقربهم الى الله تعالى (قاتلهم الله انى يؤفكون) · قال في العناية ان مشركي العرب كانوا يوحدون الله تعالى في التخليق فقط اي يخصون الخالقية به وانما اشركوا الاصنام معه في العبادة فلذا امروا بالعبادة للواحد الاحد لا غير انتهى · ومن قاس الانبياء والصالحين المتوسل بهم الى الله تعالى بالاصنام والمسلمين المستمدين منهم بعبدة الاوثان فهو اقبح حالاً من المشركين واسوأ واضل سبيلاً · وقال العلامة الشيخ داود في كتابه صلح الاخوان ان دعوى الخوارج المكفرة للمسلمين في توسلهم بالانبياء والصالحين وندائهم لهم انهم قد شابهوا بذلك المشركين في اتخاذهم الاصنام مقربة لهم الى الله تعالى ولهذا يقولون انما نتوسل بهم ونناديهم (ليقربونا الى الله زلفى) وقد قال الله تعالى (والذين اتخذوا من دونه اولياء ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى ان الله يحكم بينهم) الآية انتهت دعوى ساقطة لا ينخدع لها الا صقيع العقل عادم العلم من جهات متعددة · منها ان الكفار قالوا نعبدهم ومعلوم ان العبادة لغير الله لا تجوز بل يكفر فاعلها ولو كانت لنبي مرسل او ملك مقرب واما التوسل بالانبياء

والصالحين وندائهم فليس من العبادة عند جميع المسلمين لا لغة ولا شرعاً ولا عرفاً ومنها ان الكفار جعلوا الاصنام هي المقربة لهم (الى الله زلفى) ولا شك ان الله تعالى لم يأمر بذلك واما المسلمون فقد تقربوا الى الله تعالى بمن امره الله تعالى ان يكون مقربا الناس اليه تعالى كالانبياء اذ لا يشك احد في انهم قربوا الناس (الى الله زلفى) وقد نسب الله تعالى التقريب زلفى لكل مؤمن فقال تعالى (وما اموالكم ولا اولادكم بالتي تقربكم عندنا زلفى الا من آمن وعمل صالحاً فاولئك لهم جزاء الضعف بما عملوا وهم في الغرفات آمنون) فظاهر الآية ان من آمن يقرب الى الله زلفى وروى اللالكائي في السنة واحمد في الزهد ان يزيد بن الاسود التابعي لما استسقى به الضحاك بن قيس في القحط قال اللهم ان عبادك تقربوا بي اليك فاسقهم فسقوا ووقع مثل ذلك لمعاوية مع ابي مسلم الخولاني رضي الله تعالى عنهم . ومنها ان الكفار اتخذوا الاصنام اولياء من دون الله كما في الآية ومعلوم ان اتخاذ ولي من دون الله تعالى لا يجوز واما اتخاذ من امر الله به فواجب قال تعالى (والمؤمنون بعضهم اولياء بعض) وقال جل شأنه (انما وليكم الله ورسوله والذين آمنوا) الى غير ذلك من الآيات وقد علمنا النبي صلى الله عليه وسلم العبادة ولم يقل احد ان النداء والتوسل بالصالحين عبادة ولا اخبرنا الرسول صلى الله عليه وسلم بذلك انتهى . فجميع الآيات النازلة في المشركين خاصة بهم وذكر العبادة فيها والاتخاذ ارباباً من دون الله تعالى بالمعاملة بما يعامل به الرب سبحانه وتعالى صريح في ذلك ولا يدخل فيها احد من المؤمنين معاذ الله تعالى لانهم لا يعتقدون الوهية غير الله تعالى ولا استحقاق العبادة لغيره ولم تقع منهم وكل من يقول بدخولهم في عمومها فهو ملحد في الدين مارق منه بيقين كما هو صريح الاحاديث المتقدمة سيما حديث البخاري عن عبد

الله بن عمر رضي الله تعالى عنهما حيث قال في وصف الخوارج انهم انطلقوا الى آيات من كتاب الله تعالى نزلت في الكفار فحملوها على المؤمنين وفي رواية اخرى عن ابن عمر ايضاً عند غير البخاري انه صلى الله عليه وسلم قال اخوف ما اخاف على امتي رجل متأول للقرآن يضعه في غير موضعه فان هذا صادق على الوهابية ومن شا كلهم ولو كان شيء مما صنعه المؤمنون من التوسل وغيره شركا ما كان يصدر من النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه وسلف الامة وخلفها ولا من الانبياء والصالحين فانهم جميعهم كانوا يتوسلون كما سبق مفصلا ٠ ﴿ تنبيه ﴾ اياك ثم اياك ان تغتر بما وقع للامام فخر الدين الرازي في تفسيره عند قوله تعالى (ويعبدون من دون الله ما لا يضرهم ولا ينفعهم ويقولون هؤلاء شفعاؤنا عند الله) وذلك انه قال ونظيره في هذا الزمان اشتغال كثير من الخلق بتعظيم قبور الاكابر على اعتقاد انهم اذا عظموا قبورهم فانهم يكونون شفعاء لهم عند الله تعالى اه ٠ فان العلامة الفقيه الشيخ محمد الخطيب الشربيني قد رده في تفسيره بقوله عقبه ولكن تعظيمهم لهؤلاء ليس كتعظيم الكفار اه اي حتى يقتضي ذلك شركا معاذ الله لان تعظيم الكفار لقبور الاكابر انما هو بالعكوف عليها وتصوير الصور فيها وعبادتها واعتقاد انها تعظم كما يعظم الله تعالى وان ذلك يرضي الله تعالى عنهم برؤيتهم انفسهم غير اهل الاخلاص العبادة له تعالى وبعض هذا كفر بلا شك وكله قد حذرت منه شرائع الانبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام كما بيناه في مبحث الزيارة ٠ واما تعظيم المسلمين من الخلق لقبور الاكابر فانما هو بالتبرك بمن فيها والتشفع والتوسل به الى الله تعالى لكونهم اقرب اليه تعالى من المتوسل بهم فينال الشخص ببركة ذلك من القرب اليه تعالى ما لا يحصل له لو لم يستمده بواسطة تلك الاحباب اذ من عادة الكبراء الظفر منهم بالوسائط المقربة

عندهم بما لم يظفروا به منهم عند عدم الواسطة مع ما في ذلك من الاشعار بالذلة وان الشخص المتوسل لعظم جنايته يحتاج في قضاء مطلوبه الى الشافعين فيه حتى يقبله الله تعالى و يقبل عليه و يجيبه لما طلبه منه كما اجمع عليه اهل الظاهر والباطن رضي الله تعالى عن الجميع هذا . واما ما نقله في الاقناع من كتب الحنابلة واستدل به الوهابية عن ابن تيمية انه قال من جعل بينه و بين الله وسائط يدعوهم و يسألهم و يتوكل عليهم كفر اجماعاً وزعموا ان توسل اهل السنة والجماعة بالانبياء والصالحين من هذا القبيل فهو كلام ساقط بالمرة لا يلتفت اليه ولا يعول عليه اذ ليس دليلاً شرعياً ولا يشهد له شيء من ادلة الشريعة بل هو مردود بما في حديث الاعمى وحكاية العتبي وطلب خازن عمر الاستسقاء من النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وسؤال كل من سواد بن قارب ومازن ابن المضوية وانس بن مالك الشفاعة لهم عند الله تعالى من النبي صلى الله عليه وسلم و بما في حديث استسقاء عمر بالعباس واستسقاء معاوية والضحاك بيزيد ابن الاسود وابي مسلم الخولاني كما مر وبأن الصحابة رضى الله تعالى عنهم كانوا يتوجهون الى الله تعالى بآثاره صلى الله عليه وسلم و يتبركون بها في حياته و بعد مماته كما جاء في الاحاديث الصحيحة فيلزم انهم اتخذوا هذه الجوامد وسائط مضرة مع انهم جعلوها وسائط بينهم و بين الله تعالى بلاشك اذ لو لم يكن كذلك ولم يرجوا بركتها لما كان هناك فائدة في اتخاذه لآثاره صلى الله عليه وسلم وحرصهم عليها وتقاتلهم على حصولها و بذلهم نفائس الاموال فيها و يردهم ايضاً ما مرّ عن البغوى والخازن والميرغني في معنى قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب) وبانه لم يقل احد من المسلمين ولا من الكفار بان من دعى اونادى احداً حياً او ميتاً او اعتمد عليه يكفر اصلاً وقال بعض العلماء

الذين ردوا على الوهابية لوفرضنا ان عبارة الاقناع كما قلتم فيها وذكرها ابن تيمية والحنابلة كلهم من اولهم الى آخرهم ولم ينقلها احد من بقية المذاهب ولا العلماء من غيرهم فلا يلزم احداً الاخذ بها وترك ما ذكره بقية المذاهب في مناسكهم وغيرها من الكتب ولو كانت هذه العبارة المنقوله مسلمة عند جميع العلماء بهذا المعنى الذي يعنيه اولئك الخوارج وهو نداء اهل القبور والطلب منهم على وجه التوسل الى الله تعالى لكان التزم الفقهاء واهل العقائد ذكرها اشاعة للعلم والتحذير من الكفر مع انه لم يذكرها احد غير ابن تيمية المشهور حاله ولم تنقل الا عن الاقناع فلا يلزم احد بهذا القول المخالف لكافة العلماء لانهم ذكروا في باب الزيارة لقبر النبي صلى الله عليه وسلم التوسل به ودعاءه وطلب الشفاعة منه جميع اهل المذاهب حتى الحنابلة فلو كان المراد هذا المعنى لكانوا هم كفارا وكانوا كفروا الخلق ولم يشعروا ولا قائل بذلك معاذ الله فيحتمل ان المراد بها ما يعتقده الكفار من الارباب والآلهة وعبادتهم واعتقادهم في الاصنام انها نافعة لهم عند الله تعالى بقرينة عطف يسالهم على يدعوهم في تلك العبارة المفيد انه يعبدهم من دون الله تعالى او يعتقد استحقاقهم للعبادة كما يستحقها الاله الحق والمسلمون بريئون من ذلك والحمد لله افاده الشيخ داود

مبحث — ما ذكره في بغية المسترشدين وقول الشخص عند الوقوع (في شدة يا شيخ فلان واتخاذه واسطة بينه و بين الله تعالى)

وفي بغية المسترشدين في تلخيص فتاوي بعض الائمة من العلماء المتأخرين لمعاصرنا العالم الكامل السيد عبد الرحمن باعلوى مفتي افندي الديار الحضرمية نفع الله تعالى به البرية ما بعضه • مسئلة التوسل بالانبياء والاولياء في حياتهم و بعد وفاتهم مباح شرعاً كما وردت به السنة الصحيحة كحديث آدم عليه

هتدهم بما لم يظفروا به منهم عند عدم الواسطة مع ما في ذلك من الاشعار بالذلة وان الشخص المتوسل لعظم جنايته يحتاج في قضاء مطلوبه الى الشافعين فيه حتى يقبله الله تعالى و يقبل عليه و يجيبه لما طلبه منه كما اجمع عليه اهل الظاهر والباطن رضي الله تعالى عن الجميع هذا ٠ واما ما نقله في الاقناع من كتب الحنابلة واستدل به الوهابية عن ابن تيمية انه قال من جعل بينه و بين الله وسائط يدعوهم و يسألهم و يتوكل عليهم كفر اجماعاً وزعموا ان توسل اهل السنة والجماعة بالانبياء والصالحين من هذا القبيل فهو كلام ساقط بالمرة لا يلتفت اليه ولا يعول عليه اذ ليس دليلاً شرعياً ولا يشهد له شيء من ادلة الشريعة بل هو مردود بما في حديث الاعمى وحكاية العتبي وطالب خازن عمر الاستسقاء من النبي صلى الله عليه وسلم بعد موته وسؤال كل من سواد بن قارب ومازن ابن العضوية وانس بن مالك الشفاعة لهم عند الله تعالى من النبي صلى الله عليه وسلم و بما في حديث استسقاء عمر بالعباس واستسقاء معاوية والضحاك بيزيد ابن الاسود وابي مسلم الخولاني كما مر وبأن الصحابة رضي الله تعالى عنهم كانوا يتوجهون الى الله تعالى بآثاره صلى الله عليه وسلم و يتبركون بها في حياته و بعد مماته كما جاء في الاحاديث الصحيحة فيلزم انهم اتخذوا هذه الجوامد وسائط مضرة مع انهم جعلوها وسائط بينهم و بين الله تعالى بلاشك اذ لو لم يكن كذلك ولم يرجوا بركتها لما كان هناك فائدة في اتخاذه لآثاره صلى الله عليه وسلم وحرصهم عليها واقتتالهم على حصولها و بذلهم نفائس الاموال فيها و يردهم ايضاً ما مر عن البغوي والخازن والميرغني في معنى قوله تعالى اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب) وبانه لم يقل احد من المسلمين ولا من الكفار بان من دعى اونادى احداً حياً او ميتاً او اعتمد عليه يكفر اصلاً وقال بعض العلماء

الذين ردوا على الوهابية لو فرضنا ان عبارة الاقناع كما قلتم فيها وذكرها ابن تيمية والحنابلة كلهم من اولهم الى آخرهم ولم ينقلها احد من بقية المذاهب ولا العلماء من غيرهم فلا يلزم احداً الاخذ بها وترك ما ذكره بقية المذاهب في مناسكهم وغيرها من الكتب ولو كانت هذه العبارة المنقوله مسلمة عند جميع العلماء بهذا المعنى الذي يعنيه اولئك الخوارج وهو نداء اهل القبور والطلب منهم على وجه التوسل الى الله تعالى لكان التزم الفقهاء واهل العقائد ذكرها اشاعة للعلم والتحذير من الكفر مع انه لم يذكرها احد غير ابن تيمية المشهور حاله ولم تنقل الا عن الاقناع فلا يلزم احد بهذا القول المخالف لكافة العلماء لانهم ذكروا في باب الزيارة لقبر النبي صلى الله عليه وسلم التوسل به ودعاءه وطلب الشفاعة منه جميع اهل المذاهب حتى الحنابلة فلو كان المراد هذا المعنى لكانوا هم كفارا وكانوا كفروا الخلق ولم يشعروا ولا قائل بذلك معاذ الله فيحتمل ان المراد بها ما يعتقده الكفار من الارباب والآلهة وعبادتهم واعتقادهم في الاصنام انها نافعة لهم عند الله تعالى بقرينة عطف يسالهم على يدعوهم في تلك العبارة المفيد انه يعبدهم من دون الله تعالى او يعتقد استحقاقهم للعبادة كما يستحقها الاله الحق والمسلمون بريئون من ذلك والحمد لله افاده الشيخ داود

مبحث — ما ذكره في بغية المسترشدين وقول الشخص عند الوقوع (في شدة يا شيخ فلان واتخاذه واسطة بينه و بين الله تعالى)

وفي بغية المسترشدين في تلخيص فتاوي بعض الائمة من العلماء المتأخرين لمعاصرنا العالم الكامل السيد عبد الرحمن باعلوى مفتى افندي الديار الحضرمية نفع الله تعالى به البرية ما بعضه · مسئلة التوسل بالانبياء والاولياء في حياتهم و بعد وفاتهم مباح شرعاً كما وردت به السنة الصحيحة كحديث آدم عليه

السلام حين عصي وحديث من اشتكى عينيه واحاديث الشفاعة والذي تلقيناه
عن مشايخنا وهم عن مشايخهم وهلم جرا ان ذلك جائز ثابت في اقطار البلاد
وكفى بهم اسوة وهم الناقلون لنا الشريعة وما عرفنا الا بتعليمهم لنا فلوقدرنا ان
المتقدمين كفروا كما يزعمه هؤلاء الاغبياء لبطلت الشريعة المحمدية · وقول
الشخص المؤمن يا فلان عند وقوعه في شدة داخل في التوسل بالمدعو الى الله
تعالى وصرف النداء اليه مجاز لا حقيقة والمعنى يا فلان اتوسل بك الى ربي ان
يقيل عثرتي او يرد غائبي مثلاً فالمسئول في الحقيقة هو الله تعالى وانما اطلق
الاستغاثة بالنبي او الولي مجازاً والعلاقة بينهما ان قصد الشخص التوسل بنحو النبي
صار كالسبب واطلاقه على المسبب جائز شرعاً وعرفاً وارد في القرآن والسنة
وهو مقرر في علم المعاني والبيان · نعم ينبغي تنبيه العوام على الفاظ تصدر منهم
تدل على القدح في توحيدهم فيجب ارشادهم واعلامهم بان لا نافع ولا ضار الا
الله تعالى لا يملك غيره لنفسه ضراً ولا نفعاً الا بارادة الله تعالى قال الله تعالى
لنبيه عليه الصلاة والسلام(قل اني لا املك لكم ضراً ولا رشداً) · وعبارة الامام
الكردي واما التوسل بالانبياء والصالحين فهو امر محبوب ثابت في الاحاديث
الصحيحة وقد اطبقوا على طلبه بل ثبت التوسل بالاعمال الصالحة وهي اعراض
فبالذوات اولى · اما جعل الوسائط بين العبد وبين ربه فان كان يدعوهم كما
يدعو الله تعالى في الامور و يعتقد تأثيرهم في شيء من دون الله تعالى فهو كفر
وان كان مراده التوسل بهم الى الله تعالى في قضاء مهماته مع اعتقاده ان الله هو
النافع الضار المؤثر في الامور فالظاهر عدم كفره وان كان فعله قبيحاً · وسئل
السيد عمر البصري عن قول الشخص شيء لله يا فلان الخ فاجاب قول العامة
يا فلان شيء لله غير عربية لكنها من مولدات اهل العرف ولم يحفظ لاحد من

الائمة نص صريح في النهي عنها وليس المراد بها في اطلاقهم شيئاً يستدعي مفسدة الحرام او المكروه لانهم انما يذكرونها استمداداً او تعظيماً لمن يحسنون فيه الظن اه

قول الشخص شيء لله يا فلان

وفي الوهابية وشرحها من كتب السادة الحنفية ان بعضهم قد قال يكفر من يقول شيء لله ووجه بانه يوهم الاحتياج حيث طلب شيئاً له تعالى وهو سبحانه غني عن كل شيء والكل مفتقر ومحتاج اليه . قالوا و ينبغي ان يرجح عدم التكفير فان قائل ذلك يمكن ان يقول اردت اطلب شيئاً اكراماً لله تعالى . قال احد محققيهم السيد محمد عابدين بعد نقل نظير ما ذكر فينبغي او يجب التباعد عن هذه العبارة وقد مر ان ما فيه خلاف يؤمر بالتوبة والاستغفار وتجديد النكاح لكن هذا ان كان لا يدري مايقول اما ان قصد المعنى الصحيح فالظاهر انه لا بأس به انتهى بحروفه . وقال العلامة خير الدين الرملي الحنفي في الفتاوي واما قولهم يا شيخ عبد القادر شيء لله فهو نداء واذا اضيف شيء لله فما الموجب لحرمته ولا يجوز الاغترار بما في قيد الشرائد ونظم الفرائد ومن قال شيء لله بعض يكفر الخ اذ لا وجه لذلك وكيف ذلك مع قولهم لا يخرج المؤمن من الايمان الا جحود ما ادخله وقولهم الكفر شيء عظيم فلا يكفر المسلم بما اختلف فيه ولو برواية ضعيفة . ومعاذ الله ان يوجد الكفر بذلك الى ان قال واما انكار كرامات الاولياء على الاطلاق فالجواب ما قاله اللقاني في هداية المريد ومن يكذب بكرامات الاولياء فلا بحث معه لانه مكذب بما اثبتته السنة اه . قال الشيخ داود في كتابه صلح الاخوان بعد هذا ومعنى شيء لله على ما سمعت ممن يقولها من العوام يا أيها المنادي اعطني شيئاً

اي لاجله كما يقول السـائل اعطني درهماً لله اي كرامة له وما ذكره بعض الحنفية من التوجيه المكفر فقد ابعد فيه غاية البعد كما ذكره خير الدين وغيره اذ لا يظهر من هذه الجملة الا هذا المعنى والذي قاله البعض لا يفهم منها فضلاً عن ان يكون مراداً اه ٠ وفي كتاب بغية المسترشدين السالف ذكره ايضاً ما صورته : مسئلة من القواعد المجمع عليها عند اهل السنة ان من نطق بالشهادتين حكم باسلامه وعصم دمه وماله ولم يكشف عن حاله ولا يسأل عن معنى ما تلفظ به ٠ ومنها ان الايمان المنجي من الخلود في النار التصديق بالوحدانية والرسالة فمن مات معتقداً ذلك ولم يدر غيره من تفاصيل الدين فناج من الخلود ٠ وان شعر بشيء من المجمع عليه و بلغه بالتواتر لزمه اعتقاده ان قدر على تعقله ٠ ومنها من حكم بايمانه لا يكفر الا اذا تكلم او اعتقد او فعل ما فيه تكذيب للنبي صلى الله عليه وسلم في شيء مجمع عليه ضرورة وقدر على تعقله او نفي الاستسلام لله و رسوله كالاستخفاف به او بالقرآن ٠ ومنها ان الجاهل والمخطيء من هذه الامة لا يكفر بعد دخوله في الاسلام بما صدر منه من المكفرات حتى تتبين له الحجة التي يكفر جاحدها وهي التي لا تبقى له شبهة يعذر بها ٠ ومنها ان المسلم اذا صدر منه مكفر لا يعرف معناه او يعرفه ودلت القرائن على عدم ارادته او شك لا يكفر ٠ ومنها لا ينكر الا ما اجمع عليه او اعتقده الفاعل وعلم منه انه معتقد حرمته حال فعله فمن عرف هذه القواعد كف لسانه عن تكفير المسلمين واحسن الظن بهم وحمل اقوالهم وافعالهم المحتملة على الفعل الحسن خصوصاً الفعل الذي ثبت ان اهل العلم والصلاح والولاية كالقطب الحداد فعلوه وقالوه وفي كتبهم واشعارهم دوّنوه فليعتقد انه صواب لا شك فيه ولا ارتياب وان جهله بدليله لقصوره وجهله لا لغلبة الحال على الولي وغيبة عقله وليسع العوام

ما وسع ذلك العالم فمن علم ما ذكرنا وفهم ما اليه اشرنا واراد الله حفظه عن سبيل الابتداع كف لسانه وقلمه عن كل من نطق بالشهادتين ولم يكفر احداً من اهل القبلة ومن اراد الله غوايته اطلقه بذلك وطالع كتب من اهواه هواه نعوذ بالله من ذلك اهـ بحروفه . وهو كلام في غاية المتانة والانصاف

مبحث في ذكر ما يناسب هذه الفصول من رسالة الشيخ داود البغدادي

(المسماة بالمنحة الوهبية في الرد على الوهابية)

ولنختم فصول هذا الباب بذكر ما يناسبها من رسالة العلامة الصالح الشيخ داود البغدادي رحمه الله تعالى المسماة بالمنحة الوهبية في الرد على الوهابية مع تلخيص وزيادة وتغيير وتقديم وتأخير لزيادة في الفائدة وان كان في بعضه موافقة لبعض ما قدمناه لكن فيه نفائس ينبغي استحضارها للانتفاع بها فاسمع الآن . قال العلامة المذكور اعلم ايها المؤمن ان المنكر للتوسل والتشفع بالانبياء والاولياء من عباد الله الصالحين والاستغاثة بهم على طريق التسبب فيما يقدره الله تعالى على ايديهم بنوع كرامة من الله تعالى او بدعاء منهم لله تعالى في دار برازخهم في حصول خير من الله سبحانه للطالب منهم تشفعاً او دفع شر انما اتاه الانكار من اعتقاده ان الميت يصير تراباً لا يسمع ولا يرى وليس له حياة برزخية في قبره فهو يستغرب حينئذ الطلب منه على طريق الوسيلة والتسبب به كما يتسبب بالاحياء اهل الدنيا ولو كان معتقداً ان سائر اهل القبور لهم حياة برزخية يعلمون بها ويعقلون ويسمعون ويرون ويعرفون من زارهم ومن سلم عليهم ويأنسون به ويردون عليه السلام وان كنا لا نسمعه كما صح في الاحاديث الآتية لعدم المناسبة حينئذ بيننا وبينهم للحجاب علينا دونهم حتى انه اذا حصل لاحدنا ذلك يعد كرامة ويتزاورون فيما بينهم ويتنعمون او يعذبون وان النعيم والعذاب على

كل من الروح والجسد لان الفاعل للطاعة او ضدها انما هو كلاهما فلا يصح ولا يليق ان تعذب او تنعم الروح وحدها بدونه لانه غير لائق بالحكمة والعدالة الالهية وان رؤية الاجساد في القبور متفتتة لبعض الناس فهي في علم الله تعالى الموجد لها من العدم المحض بحالة اخرى تناسب البرزخ وان اعمال الاحياء تعرض عليهم فما رأوا من خير حمدوا الله تعالى واستبشروا ودعوا لفاعله بالزيادة والثبات وان رأوا شراً دعوا الله تعالى لهم وقالوا اللهم راجع بهم الى الطاعة واهدهم كما هديتنا الى غير ذلك من احوال البرزخ التي افردت بالتاليف ككتاب شفاء الصدور للسيوطي وكتاب وسائل الرحمات لشيخي العلامة الحلواني ومنظومة التثبيت عند التبييت للسيوطي وارتياح الاكباد للسخاوي وكذا شرح البخاري ومسلم وغيرهما لما وسعهم الانكار فان الموت انما هو نقلة من حال الى حال ولقد ثبت كل ما ذكرناه من هذه الاحوال بنص الكتاب والسنة وباجماع الامة ومن لم يعتقد ذلك فقد ترك من واجب الايمان شيئاً يجعله من المبتدعين الخارجين عن سنة سيد المرسلين صلى الله وسلم عليه وعليهم اجمعين ويلحقه ايضاً من بعض الوجوه بالكفار المنكرين فان انكار حياة القبر للتنعيم والعذاب انكار للبعث الاصغر الذي هو انموذج اي مثال للبعث الاكبر الذي يكفر منكره وهو القيام للحشر . على ان هذا الجاهل المنكر لما اجمعت عليه الامة لو قلنا بموجب قوله ان اهل القبور تكون اجسادهم تراباً بحيث لا يسمعون ولا يرون ولا يعرفون ولا نعيم ولا عذاب للاجساد يقال له اذا ثبت ذلك للروح فما المانع من ان الروح يثبت لها ما ذكرناه من الاحوال المتقدمة وان التشفع والتوسل والطلب منها على طريق التسبب كطلب الشفاعة والدعاء ونحو ذلك وهي حية حياة دائمة لا تفني كما عليه جميع اهل الملل فهي ايضاً يمكن لها التسبب فيما

يقدره الله تعالى على يدها بل هي بعد مفارقتها الجسم اصفى جوهرًا واكثر قوة كما مر · ولما كان هذا الحال الذي هو سبب الانكار صار حال اكثر الناس حتى من يدعي العلم وهو من جنس العوام الجهال لانه في هـذا الزمان يسمى الرجل عالما وهو ما عرف شيئا من الاحاديث النبوية ولا من تفسير الآيات القرآنية ولا اطلع على اقوال الصحابة والتابعين والائمة المجتهدين حتى يمكنه ان يميز الغث (١) من السمين بل غاية امره ان يكون قرأ بعض مقدمات في بعض العلوم فوقف عندها واشتهر عند الناس بسبب التملق والشقشقة ان فلانا عالم افندي فاكتفى بذلك فصار العوام يقولون عنه قال فلان العالم كذا وكذا مع ان ما يقوله انما هو من عقله لعدم علمه وجعله الشرع ما زينه له هواه وبهـذا ذهب العلم واتخذ الناس رؤساء جهالا فافتوا بغير علم فضلوا واضلوا كما ثبت في صحيح البخاري وغيره · فوجب على من اطلع وعرف البيان فان الناس بهذه الاحوال اقرب ما يكون الى حال الجاهلية لانهم اذا انكروا(٢) نعيم القبر وعذابه وانه على الروح والجسد على ما هو واجب الاعتقاد · قال في الشيبانية

وان عذاب القبر حق وانه على الروح والجسم الذي فيه الحدا

اي ونعتقد ان عذاب القبر حق اي ونعيمه فهو من باب الاكتفاء المشهور وانه على الروح والجسم اي وان لم نره نحن لانه من الايمان بالغيب الذي مدح

(١) قوله الغث هو هنا الحديث الرديء الفاسد كما هو احد معانيه والسمين الجيد (اه) لمؤلفه

(٢) قوله لانهم اذا انكروا الخ جواب اذا قوله بعد يحتمل ان يجرهم الخ وما بينهما اعتراض فتبصر (اه) لمؤلفه

الله ورسوله من يتصف به · يحتمل ان يجرهم ما ذكر الى انكار البعث الا كبر
كما مر لان الكل راجع الى قدرة الله تعالى ومن الامور الغيبية · وهذا بالنسبة
الى العقل · واما بالنسبة الى النقل فالآيات الشريفات والاحاديث الصحيحات
واقوال سلف الامة وخلفها مطبقة على تلك الاحوال التي ذكرناها لاهل البرزخ
فان كان انسان يجهلها فها نحن نذكرها اولا مفصلة · ثم نتبع ذلك بذكر الادلة
الصحيحة الواردة في جواز التوسل والتشفع والطلب من الانبياء والصالحين
للشفاعة على طريق التسبب والتبرك لا انهم هم الفاعلون استقلالاً معاذ الله فان
هذا قد يعتقده جهال الناس من الوهابية والمعتزلة وغيرهم في الاحياء لمشاهدتهم
لافعالهم وحركاتهم ووقوفهم مع عقلهم الفاسد فلا يخطر ببالهم ان المتسبب بهم
ينسب فعلهم الى الله تعالى فيشركون بذلك الاعتقاد الا النادر جداً · واما
الاموات من الانبياء والاولياء الاحياء عند ربهم فان الناس يعلمون انهم لا قدرة
لهم الا بالله تعالى وانه يسببهم بقدرة من عنده خرقاً للعادة او يفعل تعالى لاجلهم
او بجاههم وحرمتهم وقربهم عنده ما يقدره سبحانه وتعالى كما هو كذلك في حال
حياتهم فالناس وان نسبوا لهم الفعل فليس مرادهم الحقيقة بل المجاز والتسبب
الواردين في الشريعة المطهرة فاعلم ذلك وتحققه لتعلم ان ما باء به المنكرون نزغة
شيطانية خارجة عن الدلائل العقلية والنقلية و بعض الناس قد يعتقد ما ذكرنا
من احوال اهل البرزخ لكنه يغفل عن تسببهم واكرام الله تعالى لهم بنوع
الكرامة او فعله الخارق لاجلهم فيستبعد حصول التسبب منهم عند التوسل بهم
او يدعي ان الطلب منهم وسؤالهم الشفاعة لم يرد في الشرع الشريف جهلاً او
عناداً و هؤلاء اهون من الفريق الاول وذلك كله ناشيء اما من عدم اطلاعهم
على الوارد في الشريعة الغراء او من تعصبهم بسبب تحيزهم الى فئة او شخص قال

بذلك فهم يثابرون اي يقيمون على اثبات ما قالت او قال ولو بالباطل او يعاندون من يأتيهم بالحق تكبراً عليه او احتقاراً لشانهم وما علموا انه عند الله تعالى تتبين الحقائق وتبدو النيات والدقائق فعليك ايها الموفق بالانصاف وترك العناد للحق والاعتساف لعلك تحظى بالمدد من الله تعالى والاسعاف · فاما حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم حياة حقيقية تليق بها فثابتة بالسنة الصريحة الصحيحة والاجماع وبالقياس على حياة الشهداء الثابتة بالنص القرآني وفائدة التقييد فيه بالعندية الاشارة الى ان حياتهم ليست بظاهرة ومحسوسة عندنا بل هي كحياة الملائكة بل ازيد وكذلك الانبياء ولهذا لا يورثون فهم في روءيتنا بكيفية وعند الله تعالى بكيفية اخرى لانهم لو كانوا عندنا كما عند الله تعالى لارتفع الايمان بالغيب كيف وقد اثنى الله تعالى ورسوله صلى الله عليه وسلم على الذين يؤمنون بالغيب · على ان العلماء قد نصوا على انه ما من نبي الا وقد رزق الشهادة وهذا ظاهر لا غبار عليه

واما قول الحلبي في انسان العيون قد يقال انه يوجد في المفضول ما لا يكون في الفاضل فلا يلزم القياس فممنوع هنا بأن ما ذكره ممكن فيما لم يرد به نص يوافق هذا القياس · وقد ورد من الاحاديث المتفق على صحتها ما يوافق ذلك هنا ففي الصحيحين وغيرهما مررت ليلة اسرى بي على موسى وهو قائم في قبره يصلي عند الكثيب الاحمر · وروى مسلم في صحيحه انه صلى الله عليه وسلم رأى موسى ويونس عليهما الصلاة والسلام فيما بين الحرمين الشريفين محرمين ملبيين متضرعين الى الله · وروى البيهقي وجمع من المحدثين مرفوعاً باسانيد صحيحة انه صلى الله عليه وسلم قال الانبياء احياء في قبورهم يصلون · واخرج ابو داود والحاكم وابن ماجه والسيوطي ان النبي صلى الله عليه وسلم قال

ان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء وقد اطبق العلماء على ذلك ·
وورد في الصحيحين ان الله تعالى حشر لنبينا جميع الانبياء والمرسلين ليلة الاسراء
فصلى بهم اماماً · وورد ذكر الاذان والاقامة في بعض الروايات وان جبريل
اخذ بيده فقدمه فصلى بهم ركعتين وهي تؤيد انها صلاة شرعية ذات ركوع
وسجود لان النص يحمل على حقيقته الشرعية قبل اللغوية الا اذا تعذر حمله على
الشرعية ولم يتعذر هنا فوجب حمله على الشرعية فتستدعي جسداً حياً كصلاة
موسى في قبره وليست بحكم التكليف لانقطاعه بالموت كما لا يخفى بل بحكم التلذذ
للاكرام والتشريف والخضوع لله تعالى كما في الحديث ان اهل الجنة يلهمون
التسبيح كما يلهمون النفس وهو معنى قوله تعالى (دعواهم فيها سبحانك اللهم
وتحيتهم فيها سلام وآخر دعواهم ان الحمد لله رب العالمين) وكما ورد انه يقال
للقارئ اقرأ وارق فافهم · ويؤيد ما ذكرناه ايضاً اشياء كثيرة اخرى مذكورة
في مواد قصة الحافظ نجم الدين الغيطي وكتب التفسير والحديث يضيق المقام
عن ايرادها وحينئذ · فدعوى نعمان الالوسي في جلائه ان المراد من الصلاة
المعنى اللغوي وهو الدعاء والثناء على الله تعالى فاسدة

❁ مبحث في الرد على نعمان الالوسي ❁

ومما يزينها ايضاً ما صح من ان الانبياء عليهم الصلاة والسلام بعد انصرافهم
من الصلاة اثنى كل منهم على ربه بما اثنى به وكذلك ما نقله في مشكاة المصابيح
عن الصحيحين وهو : وقد رأيتني في جماعة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلي واذا
هو رجل ضرب جعد يعني شعره غير سبط كأنه من رجال شنوءة وهم قوم من
الزط سمر اللون مع الطول والنحافة بالسند او السودان او الهند تنسب اليهم
الثياب الزطية · قال العلامة القارئ في شرح المشكاة (قلت) قد سبق ان

الانبياء احياء عند ربهم وان الله حرم على الارض ان تأكل لحومهم ولكون اجسادهم كارواحهم لطيفة لا مانع من ظهورهم في عالم الملك والملكوت على وجه الكمال بقدرة ذي الجلال ومعنى ضرب في الحديث نوع وسط من الرجال او ضعيف اللحم على ما في النهاية ثم قال والانبياء لا يموتون كسائر الاحياء بل نقلوا من دار الفناء الى دار البقاء اه

وقال الامام البيهقي في كتاب الاعتقاد الانبياء بعد ما قبضوا ردت اليهم ارواحهم فغيبوا عنا فلا يراهم كالملائكة الا من اكرمه الله تعالى وذكر مثل ذلك ايضاً السيوطي والنووي والسبكي والقرطبي عن شيخه ونقله عنه ابن القيم الحنبلي في كتاب الروح له واقره وكذا ابن حجر والرملي والقاضي زكريا واكمل الدين والشرنبلالي الحنفيان وابن ابي جمرة وتلميذه ابن الحاج صاحب المدخل والشيخ اللقاني في شرح الجوهرة المالكيون وغيرهم . وقد صح سماع سعيد بن المسيب رضي الله تعالى عنه الاذان والاقامة من داخل الحجرة الشريفة ايام الحرة (١) وذكر

---

(١) قوله ايام الحرة هي ثلاثة ايام مشهورة في الاسلام كانت مدة يزيد بن معاوية لما نهب المدينة عسكر من اهل الشام ندبهم لقتال اهل المدينة من الصحابة والتابعين وامر عليهم مسلم بن عقبة المري في ذي الحجة سنة ٦٣ وقد هلك يزيد عقبهم وسبب هذا الحرب. ان اهل المدينه خلعوا يزيد وولوا على قريش عبد الله بن مطيع وعلى الانصار عبد الله بن حنظلة واخرجوا عامل يزيد عثمان بن محمد بن عم يزيد من بين اظهرهم وكان عسكر يزيد ٢٧ الف فارس و١٥ الف راجل قتل فيها خلق كثير من الصحابه وغيرهم ونهبت المدينة وافتض فيها الف عذراء لانهم لما ظفروا اباحوا المدينه الثلاثه ايام المذكورة وبالجمله فكانت فتنه عظيمه ترك فيها الاذان والاقامه بالمسجد النبوي ثلاثه ايام وسعيد بن المسيب لم يخرج به مقيما اه لمؤلفه

قال محمود الالوسي في رسالته نشوة الشمول ويكفي في جواز لعن يزيد ما رواه مسلم من ان النبي صلى الله عليه وسلم قال من اخاف اهل المدينة اخافه الله تعالى وكانت

ذلك ابن تيمية نفسه في كتابه اقتفاء الصراط المستقيم · وان كثيراً من الصالحين مع رد السلام من قبره صلى الله عليه وسلم على المسلمين عليه في كثير من الاوقات لي ثبت هذا من بقية الموتى كما سنذكره · ولا يرد على ما ذكر ما رواه ابو داود بسند صحيح ما من احد يسلم عليّ الا رد الله على روحي حتى ارد عليه السلام المقتضي بظاهره ان روحه الشريفة تفارق جسده الشريف وانها بالسلام عليه ترد لامكان الجواب بانه يكون مستغرقاً بمشاهدة الحضرة العلية فيغنى عن احساسه الشريف فاذا سلم المسلم عليه ترد روحه من ذلك الاستغراق الى الاحساس لاجل الرد المذكور او المراد رد القوى النطقية في ذلك الحين للرد المذكور جمعاً بين ما ورد عن المعصوم · ولا غرابة في ذلك لانا نرى في الدنيا بعض من هو مشغول البال بامر من الامور الدنيوية او الاخروية ربما يتكلم احد معه وهو لا يشعر بكلامه لاشتغال باله واستغراقه بذلك الامر فكيف بمن هو مشغول بمشاهدة جمال ذي الجلال فتدبر · وقال العلامة المحقق في الجوهر المنظم ما لفظه ومن اعظم فوائد الزيارة يعني زيارة النبي صلى الله عليه وسلم ان زائره صلى الله عليه وسلم اذا صلى وسلم عليه صلى الله عليه وسلم عند قبره سمعه سماعاً حقيقياً ورد عليه من غير واسطة وناهيك بذلك بخلاف من يصلي او يسلم عليه صلى الله عليه وسلم من بعد فان ذلك لا يبلغه صلى الله عليه وسلم ولا يسمعه الا بواسطة

والدليل على ذلك احاديث كثيرة ذكرتها في كتابي الدر المنضود في

عليه لعنة الله والملائكة والناس اجمعين · ثم قال وانا ممن يرى الفرق معدوماً بين اللعن بالخصوص واللعن بالعموم · وفي تفسيرنا روح المعاني ما فيه روح للارواح والاجسام (اه) لمؤلفه

الصلاة على صاحب المقام المحمود · منها ما جاء عنه صلى الله عليه وسلم بسند جيد وان قيل انه غريب من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى علي من بعيد اعلمته وفي رواية في سندها متروك من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى علي نائيا (اي بعيداً) وكل الله به ملكاً يبلغني وكفي امر دنياه وآخرته وكنت له يوم القيامة شهيداً او شفيعاً قال ملا علي في شرح المشكاة المعنى سمعه سماعاً حقيقياً بلا واسطة ولا شك ان الصلاة في الحضور افضل من الغيبة لان الغالب حضور القلب عند الحضرة والغفلة عند الغيبة اه

وقال العلامة المحقق في فتاواه والذي يظهر ان المراد بالعندية ان يكون في محل قريب من القبر بحيث يصدق عليه عرفاً انه عنده وبالبعد عنه ما عدا ذلك وان كان بمسجده صلى الله عليه وسلم وفي القول البديع اذا كان المصلي عند قبره الشريف سمعه بلا واسطة سواء كان ليلة الجمعة او غيرها وما يقوله بعض الخطباء ونحوهم انه يسمع بأذنيه في هذا اليوم من يصلي عليه فهو مع حمله على القريب لا مفهوم له اه ولنرجع الى تتميم كلامه في كتابه السابق قال فيه بعد ما مر وفي رواية ما من عبد يسلم عليّ عند قبري الا وكل الله به ملكا يبلغني · وفي اخرى في سندها ضعف لكن له شواهد تقويه اكثروا الصلاة عليّ فان الله وكل بي ملكاً عند قبري فاذا صلى عليّ رجل من امتي قال ذلك الملك يا محمد ان فلان ابن فلان صلى عليك الساعة · وفي اخرى سندها حسن بل صحيح كما قاله النووي وغيره ونوزع فيه بما لا يقدح ما من احد يسلم عليّ الا رد الله عليّ روحي حتى ارد عليه السلام · وروى ابن بشكوال ما من احد يسلم عليّ الا رد الله عليّ روحي حتى ارد عليه · وفي رواية ما من مسلم يسلم عليّ في شرق ولا غرب الا انا وملائكة ربي نرد عليه السلام فقال له قائل يا رسول الله

نفا بال اهل المدينة قال وما يقال الكريم في جيرانه وجيرته انه مما امر به من حفظ الجوار حفظ الجيران وسندها غريب بل فيه من اتهمه الذهبي بوضعه · وفي اخرى سندها ضعيف ان اقربكم مني يوم القيامة في كل موطن اكثركم علي صلاة في الدنيا · وفي رواية من صلى عليّ في يوم الجمعة وليلة الجمعة مائة مرة قضى الله له مائة حاجة سبعين من حوائج الآخرة وثلاثين من حوائج الدنيا ثم يوكل الله بذلك ملكاً يدخله في قبري كما تدخل عليكم الهدايا يخبرني بمن صلى علي باسمه ونسبه الى عشيرته فاثبته عندي في صحيفة بيضاء · وفي رواية زيادة ان علمي بعد الموت كعلمي في الحياة · وفي اخرى رجالها ثقاة الا واحداً لم يعرف من صلى عليّ بلغتني صلاته وصليت عليه وكتب له سوى ذلك عشر حسنات · وفي رواية اخرى صحيحة خلافاً لمن طعن فيها فقد اخرجها ابنا خزيمة وحبان والحاكم في صحاحهم وقال هذا حديث صحيح على شرط البخاري ولم يخرجاه وممن صححه ايضاً النووي في اذكاره وحسنه عبد الغني والمنذري وقال ابن دحية انه صحيح محفوظ بنقل العدل عن العدل ومن قال انه منكر او غريب لعلة خفية فقد استروح لان الدارقطني ردها من افضل ايامكم يوم الجمعة فيه خلق آدم وفيه قبض وفيه النفخة وفيه الصعقة فاكثروا عليّ من الصلاة فيه فان صلاتكم معروضة عليّ (١) قالوا يا رسول الله وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد ارمت يعني بليت قال ان الله عز وجل حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء · قال الخطابي وارمت بفتح اوليه وسكون ثالثه وفتح آخره اصله ارممت اي صرت رميماً حذفت احدى الميمين تخفيفاً كاظلت اي اظللت والرميم والرمة

(١) قوله معروضة علي يعني على وجه القبول في يوم الجمعة والا فهي دائماً تعرض عليه بواسطة الملائكة الا عند روضته فيسمعها بحضرته اه قارىء

العظام البالية . وقال غيره الميم مشددة والتاء آخره ساكنة اي ارمت العظام .
وقيل يروى بضم اوله وكسر ثانيه . وفي اخرى رجالها ثقاة الا انها منقطعة
اكثروا من الصلاة عليّ يوم الجمعة فانه يوم مشهود تشهده الملائكة وان احداً
لن يصلي عليّ الا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها قال راويه ابو الدرداء
رضي الله تعالى عنه وبعد الموت فقال وبعد الموت ان الله حرم على الارض
ان تأكل اجساد الانبياء . فنبي الله صلى الله عليه وسلم حي يرزق اي من
المعارف الربانية والمراتب الرحمانية ما يليق بعلي مقامه ويتلذذ به في قبره
الشريف صلى الله عليه وسلم كما كان يتلذذ به قبل وفاته فلكونه غذاء اي غذاء
لروحه الشريفة صلى الله عليه وسلم عبر عنه بالرزق اشارة الى انه يشمل النعم
الباطنة كالظاهرة في الحياة وبعد الموت وقوله حي هو المحفوظ وقيل حين . وفي
الاحاديث ما يدل على عرضها عليه صلى الله عليه وسلم وقت قولها ويوم الجمعة
ويوم القيامة ولا تنافي بينها فقد يكون العرض عليه صلى الله عليه وسلم اي التبليغ له
مرات متعددة كما ورد في احاديث ما يدل على ان الاعمال تعرض على الله تعالى
كل يوم وليلة ثم كل يوم اثنين ويوم خميس ثم في كل ليلة نصف شعبان . وفي
اخرى للطبراني ليس من عبد يصلي عليّ الا بلغني صوته : قلنا يا رسول الله
وبعد وفاتك قال وبعد وفاتي ان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد
الانبياء اي فسمعهم الحسي كبقية حواسهم الظاهرة والباطنة باقية بحالها كما كانت
عليه قبل وفاتهم على نبينا وعليهم الصلاة والسلام لكن الله تعالى اغناهم عن
الاحتياج الى الغذاء الحسي كرامة لهم كالملائكة واولى . وفي اخرى قلنا يا رسول
الله كيف تبلغك صلاتنا اذا ضمنتك الارض قال ان الله حرم على الارض ان
تأكل اجساد الانبياء . واخرج جمع انه صلى الله عليه وسلم قال ان لله ملكاً

اعطاه اسماع الخلائق فهو قائم على قبري اذا مت فليس احد يصلي عليّ صلاة الا قال يا محمد صلى عليك فلان بن فلان فيصلي الرب تبارك وتعالى على ذلك الرجل بكل واحدة عشراً . وفي اخرى فهو قائم على قبري حتى تقوم الساعة فليس احد من امتي يصلي عليّ صلاة الا قال يا احمد فلان بن فلان باسمه واسم ابيه يصلي عليك كذا وكذا وضمن لي الرب ان من صلى عليّ صلاة صلى الله عليه عشراً وان زاد زاده الله . وفي اخرى ان الله وكل بقبري ملكاً اعطاه اسماع الخلائق لا يصلي عليّ احد الى يوم القيامة الا بلغني باسمه واسم ابيه هذا فلان ابن فلان قد صلى عليك . وفي اخرى زيادة واني سألت ربي عز وجل ان لا يصلي علي واحد منهم صلاة الا صلى عليه عشر امثالها وان الله عز وجل اعطاني ذلك . وفي سند الجميع راو بينه البخاري ووثقه ابن حبان وآخر ضعفه بعضهم

﴿ تنبيه ﴾ يجمع بين هذه الاحاديث الظاهرة التعارض ببادئ الرأي واحاديث اخر كثيرة وردت بمعناها او قريب منها بانه صلى الله عليه وسلم يبلغ الصلاة والسلام اذا صدرا من بعد ويسمعها اذا كانا عند قبره الشريف بلا واسطة وان ورد انه يبلغهما هنا ايضاً كما مر اذ لا مانع ان من عند قبره الشريف يخص بان الملك يبلغ صلاته وسلامه مع سماعه لها اشعاراً بمزيد خصوصيته والاعتناء بشأنه والاستمداد له بذلك سواء في ذلك كله ليلة الجمعة وغيرها اذ المقيد يقضي به على المطلق والجمع بين الادلة التي ظاهرها التعارض واجب حيث امكن . وافتى النووي رحمه الله تعالى فيمن حلف بالطلاق الثلاث ان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسمع الصلاة عليه هل يحنث بانه لا يحكم عليه بالحنث للشك في ذلك والورع ان يلتزم الحنث . وعلم من بعضها انه صلى الله عليه وسلم يرد على من سلم وصلى عليه سواء زائره وغيره . ودعوى اختصاص

ذلك بزائره يحتاج لدليل بل يردها الخبر الصحيح ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام فلو اختص رده صلى الله عليه وسلم بزائره صلى الله عليه وسلم لم يكن له خصوصية به لما علمت ان غيره يشاركه في ذلك . قال ابو اليمن بن عساكر واذا جاز رده صلى الله عليه وسلم على من يسلم عليه من الزائرين لقبره الشريف صلى الله عليه وسلم جاز رده على جميع من يسلم عليه من جميع الآفاق من امته على بعد شقته . اذا علمت ذلك علمت ان رده صلى الله عليه وسلم سلام الزائر عليه بنفسه الكريمة صلى الله عليه وسلم امر واقع لا شك فيه وانما الخلاف في رده على المسلم عليه من غير الزائرين فهذه فضيلة اخرى عظيمة ينالها الزائرون لقبره صلى الله عليه وسلم فيجمع الله لهم بين سماع رسول الله صلى عليه وسلم لاصواتهم من غير واسطة و بين رده عليهم سلامهم بنفسه فانى لمن سمع بهذين بل باحدهما ان يتأخر عن زيارته صلى الله عليه وسلم او يتوانا عن المبادرة الى المثول في حضرته صلى الله عليه وسلم تالله ما يتاخر عن ذلك مع القدرة عليه الا من حق عليه البعد عن الخيرات والطرد عن مواسم اعظم القربات اعاذنا الله سبحانه وتعالى من ذلك بمنه و كرمه آمين . وعلم من تلك الاحاديث ايضاً انه صلى الله عليه وسلم حي على الدوام اذ من المحال العادي ان يخلو الوجود كله عن واحد يسلم عليه في ليل او نهار فنحن نؤمن ونصدق بانه صلى الله عليه وسلم حي يرزق وان جسده الشريف لا تأكله الارض وكذا سائر الانبياء عليه وعليهم الصلاة والسلام والاجماع على هذا . قيل وكذا العلماء والمؤذنون والشهداء . وصح انه كشف عن غير واحد من العلماء والاولياء فوجدوا لم تتغير اجسادهم . كما صح ان عبد الله ابا جابر وعمرو بن الجموح وهما ممن استشهدوا يوم احد حفر السيل قبرهما

بعد ست واربعين سنة فوجدا لم يتغيرا وكان احدهما جرح فوضع يده على جرحه فدفن وهو كذلك فاميطت يده عن جرحه ثم ارسلت فرجعت كما كانت · ولما حفر معاوية رضي الله تعالى عنه العين التي استنبطها بالمدينة وذلك بعد احد بنحو خمسين سنة ونقل الموتى اصابت المسحاة قدم سيدنا حمزة عم رسول الله صلي الله عليه وسلم فسال منها الدم · نعم الظاهر من الادلة ان حياة الشهداء اقوى من حياة الاولياء للنص عليها في القرآن الكريم ودون حياة الانبياء لانهم بها اولى واحرى والتفاوت فيها بمعنى التفاوت في ثمراتها غير بعيد فتأمله · وقد نظر بعض ائمتنا الى ان حياته صلى الله عليه وسلم امتازت بانها تقتضى اثباتها حتى في بعض احكام الدنيا فعد من خصائصه صلى الله عليه وسلم ان ما خلفه باق على ما كان في حياته فكان ينفق منه سيدنا ابو بكر رضى الله تعالى عنه على اهله وخدمه والموت الواقع له غير مستمر لعود الحياة الكاملة له واستمرارها · وقد جمع البيهقي رحمه الله تعالى جزأ في حياة الانبياء عليهم الصلاة والسلام في قبورهم · واستدل بكثير من الاحاديث السابقة · وبالحديث الصحيح الانبياء احياء في قبورهم يصلون · ويشهد له خبر مسلم مررت بموسى ليلة اسرى بي عند الكثيب الاحمر وهو قائم يصلي في قبره · ودعوى ان هذا خاص به يبطلها خبر مسلم ايضا فقد رأيتني في الحجر وقريش تسألني عن مسراي الحديث وفيه وقد رأيتني في جملة من الانبياء فاذا موسى قائم يصلى فاذا هو رجل ضرب جعد وفيه اذا عيسى بن مريم قائم يصلى اقرب الناس به شبها عروة بن مسعود يعنى الثقفى رضى الله تعالى عنه وفيه واذا ابراهيم قائم يصلى اشبه الناس به صاحبكم يعنى نفسه فحانت الصلاة فاممتهم · وفي حديث آخر انه لقيهم ببيت المقدس · وفي اخرى انه لقيهم في جماعة من الانبياء بالسموات فكلمهم فكلموه ·

قال البيهقي وكل ذلك صحيح فقد يرى موسى قائماً يصلي في قبره ثم يسرى بموسى وغيره الى بيت المقدس كما اسرى بنبينا صلى الله عليه وسلم فيراهم فيه ثم يعرج بهم الى السموات كما عرج بنبينا صلى الله عليه وسلم فيراهم فيها كما اخبرهم(١) وحلولهم في اوقات مختلفة بامكنة مختلفة جائز عقلاً كما ورد به الخبر الصادق وفي كل ذلك دلالة على حياتهم اه . وفي قوله رايتني مع كون الاسراء كان يقظة على الصواب الرد على من زعم ان ذلك كان مناماً على ان رؤيا الانبياء وحي . وقد ثبتت حياة الشهداء في البرزخ بنص القرآن الكريم وصرح بن عباس وابن مسعود رضي الله تعالى عنهم بانه صلى الله عليه وسلم مات شهيداً . ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم في مرض موته ما زالت اكلة خيبر اي بالضم لانه لم يأكل الا لقمة واحدة تعاودني حتى كان الآن قطع ابهري اي اكله من الشاة التي سمت له بخيبر بسم قاتل من ساعته وانما لم يؤثر فيه حالاً معجزة له صلى الله عليه وسلم ثم اثر فيه بعد . قال العلماء ليجمع الله تعالى له بين درجة النبوة والشهادة اه ووجه الشهادة في هذا انه قتل من كافر وان لم يكن في معركة واشتراط كونه بها انما هو لاجراء الاحكام الدنيوية . وفي حصول هذه الحياة لشهيد الآخرة فقط كالغريق والمبطون توقف . وجمهور العلماء على ان حياة الشهداء حقيقية . ثم انه في قول انها للروح فقط وفي قول وللجسد ايضاً اي بمعنى لا يبلى وانه تستمر فيه امارة الحياة من الدم وطراوة البدن وهذا هو المشاهد في ابدانهم كما مر والقول بعود ارواحهم الى اجسادهم وبقائها فيها الى يوم القيامة ردوه بانه مخالف للاحاديث الصحيحة . والمراد بالروح في الاحاديث السابقة النطق كما صرح به جماعة فهو صلى الله عليه وسلم حي على الدوام لكن لا يلزم لما يأتي

---

(١) قوله كما اخبرهم الضمير البارز لقريش اه مؤلفه

عن السبكي من حياته دوام نطقه وانما يرد عليه عند سلام كل مسلم او صلاة كل مصل عليه صلى الله عليه وسلم اى وعند صلاته ونحوها الما مر انهم احياء في قبورهم يصلون . والظاهر انها صلاة كصلاة الاحياء في الدنيا وعلاقة التجوز بالروح عن النطق لما بينهما من التلازم غالباً . واجاب البيهقي بان معنى رد الروح اليه انها ردت اليه عقب دفنه صلى الله عليه وسلم لاجل سلام من يسلم عليه واستمرت في جسده الشريف صلى الله عليه وسلم لا انها تعاد لرد السلام ثم تنزع ثم ترد لرد السلام وهكذا اي لما يلزم عليه من تعدد حياته ووفاته صلى الله عليه وسلم في الساعة القصيرة جداً مرات كثيرة . واجيب بانه لا محذور فيه اذ لا نزع ولا مشقة في ذلك الرد وان تكرر . واجاب السبكي بانه يحتمل ان يكون رداً معنوياً وان تكون روحه الشريفة صلى الله عليه وسلم مشتغلة بشهود الحضرة الالهية والملأ الاعلى عن هذا العالم لتدرك سلام من يسلم عليه وترد عليه ولا يلزم عليه استغراق الزمان كله في ذلك نظرا لاتصال الصلاة عليه في اقطار الارض لان امور الآخرة لا تدرك بالعقل واحوال البرزخ اشبه باحوال الآخرة . وقال بعضهم المراد بالروح الملك الموكل به صلى الله عليه وسلم . وقال ابن العماد يحتمل ان يراد به هنا السرور مجازاً فانه قد يطلق و يراد به ذلك . قيل واذا تقرر انه صلى الله عليه وسلم حي فلا يقال عليه السلام ولا عليك السلام فانها تحية الموتى وقد امتلأت كتب كثيرة من المصنفين بذلك فليجتنب اي هذا اللفظ . وروى ابن ابي شيبة اي وابو داود والترمذي وصححه من حديث ابي جري الهجيمي قال اتيت رسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت عليك السلام يارسول الله فقال لا تقل عليك السلام فان عليك السلام تحية الموتى . وروى الترمذي بسند حسن ان رجلا قال للنبي صلى الله عليه وسلم عليك السلام

يا رسول الله ثلاث مرات فقال له ان عليك السلام تحية الموتى ثم قال صلى الله عليه وسلم اذا لقي الرجل اخاه المسلم فليقل السلام عليك ورحمة الله ثم رد صلى الله عليه وسلم على الرجل سلامه فقال وعليك السلام ورحمة الله ثلاثا اه وليس (١) بصحيح لان رده صلى الله عليه وسلم على المسلم به يدل على انه سلام صحيح معتد به والفصل بين الابتدا والرد بكلام يسير لغرض صحيح لا يضر كما بينته في شرح المشكاة في باب التيمم وغيره عند ذكر الحديث الذي فيه الفصل بينهما ايضاً . وايضاً فقد صح انه صلى الله عليه وسلم قال للموتى السلام عليكم دار قوم مؤمنين فدل على ان معنى كون عليكم السلام تحية الموتى اي موتى القلوب (٢) او انها عادة جاهلية وعلى كل فالسلام عليكم افضل في حق الحي والميت . ولا ينافي ما تقرر من حياة الانبياء في قبورهم مافي صحيح ابن حبان في قصة عجوز

---

(١) قوله وليس بصحيح الضمير لذلك القيل كما لا يخفى اه

(٢) قوله او انها عادة جاهلية قد عرج عليه قبل المؤلف ابن القيم حيث قال في البدائع ان قوله عليك السلام تحية الموتى ليس تشريعاً منه صلى الله عليه وسلم واخباراً عن امر شرعي وانما هو اخبار عن الواقع المعتاد الذي جرى على السنة الناس في الجاهلية فانهم كانوا يقدمون اسم الميت على الدعاء وهو في اشعارهم كثير والاخبار عن الواقع لا يدل على الجواز فضلاً عن الاستحباب كما ادعى فتعين المصير الى ما ورد عنه من تقديم لفظ السلام قال فان تخيل متخيل في الفرق ان السلام على الاحياء يتوقع جوابه فقدم الدعاء على المدعو له بخلاف الميت قلنا والسلام على الميت يتوقع جوابه ايضاً كما ورد به الحديث اه مؤلفه

بني اسرائيل انها ذات نبي الله موسى على الصندوق الذي فيه عظام يوسف على نبينا وعليهما وعلى سائر الانبياء والمرسلين افضل الصلاة والسلام فاستخرجه (٣) وحمله معهم عند قصدهم الذهاب من مصر الى بيت المقدس . اما لانها ارادت بالعظام كل البدن او لان الجسد لما لم يشاهد فيه روح عبر عنه بالعظم الذي من شانه عدم الاحساس او ان ذلك باعتبار ظنها ان ابدان الانبياء عليهم الصلاة والسلام كابدان غيرهم في البلاء ولا ينافي ذلك بالنسبة لنبينا محمد صلى الله عليه وسلم قوله انا اكرم على ربي من ان يتركني في قبري بعد ثلاث لقول البيهقي ان صح هذا الحديث فالمراد انهم لا يتركون لا يصلون الا بهذا القدر ثم يكونون مصلين بين يدي الله تعالى اي وان كانوا في قبورهم لما مر انهم احياء يصلون في قبورهم . وفي خبر (٤) غير ثابت ايضاً ان الانبياء عليهم الصلاة

---

(٣) قوله فاستخرجه وحمله معهم الخ سبب ذلك انه لما ادركته الوفاة اوصى ان يحمل جسده الى مقابر آبائه بالشام فمنع اهل مصر اولياءه من ذلك فلما بعث موسى واهلك الله فرعون حمله الى مقابرهم من ارض الشام بدلالة من القبط قالوا فقبر يوسف عليه السلام بقرية تسمى حامي كذا في ربيع الاسرار للزمخشري وقال المسعودي في مروج الذهب و بقي يوسف بمصر وله مائة سنة وعشرة وجعل في تابوت من الرخام وسد بالرصاص وطلي بالاطلية المانعة من الهواء والماء وطرح في نيل مصر ليمر عليه الماء فيتساووا في التبرك به نحو مدينة منف وهناك مسجده اه ومات في زمن دارم ابن الريان قال بن ظهيرة وقد اشتهر ان قبره عليه السلام خارج سور بلد حده الخليل عليه السلام من جهة الغرب وهو ظاهر هناك معروف وعليه نصبة مكتوب فيها ذلك اه من الفضائل الباهرة

(٤) قوله غير ثابت اي لان في سنده واحدا سيما الحفظ كما في الزرقاني على

والسلام لا يتركون في قبورهم بعد اربعين ليلة ولكن يصلون بين يدي الله تعالى حتى ينفخ في الصور وكان هذا هو سند ما رواه عبد الرزاق عن ابن المسيب انه رأى قوماً يسلمون على النبي صلى الله عليه وسلم فقال ما مكث نبي في الارض اكثر من اربعين يوماً · وقد علمت ان سند هذه المقالة لا اصل له فمن ثم لم يعول العلماء عليها بل اجمعوا على خلافها وان الانبياء احياء في قبورهم وانه يسن السلام عليهم عند قبورهم ومع البعد عنها · على انه جاء عن ابن المسيب نفسه ما يرد ذلك وهو ان يزيد بن معاوية لما حاصر المدينة المشرفة على ساكنها افضل الصلاة والسلام وقتل من اهلها من قتل حتى خلا المسجد الشريف عن اقامة الصلاة فيه مدة قال ابن المسيب كنت فيه وما كنت اعلم دخول الاوقات الا بسماع الاذان والاقامة من داخل القبر المكرم · ومما يرده ايضاً قوله صلى الله عليه وسلم مررت بموسى ليلة اسرى بي وهو قائم يصلي في قبره وقول عثمان لما قال له الصحابة رضي الله تعالى عنهم وقد حوصر الحق من بالشام لم افارق دار هجرتي ومجاورة رسول الله صلى الله عليه وسلم فيها وانما اطلت الكلام في هذا المبحث لان فيه اتحافاً عظيماً للزائر الذي يقف بين يدي رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يعلم انه حي يسمع صوته وتوسله وتشفعه به وسؤاله منه ان يشفع له الى ربه حتى يرضى عنه ويعطيه ما يحبه من خيري الدنيا والآخرة فاي فائدة اجل من هذه الفائدة واي تحفة اعظم من هذه العائدة فاشدد حينئذ بزيارته صلى الله عليه وسلم يديك واسع في تحصيلها بما امكنك لتساق هذه الخيرات والفوائد اليك وتحظى بالمثول في ذلك الموقف المتكفل بحصول المأمول واجابة السؤال وبصلاح الاحوال والسعي في التحلي بحلي اهل الكمال وبمحق ما فرط

المواهب اه لمؤلفه

من الزلات وطهارة ما تدنس من الاخلاق والصفات حقق الله تعالى لنا ذلك وخرق لنا العوائد لنكون من اهل تلك المسالك بمنه وكرمه آمين . ثم قال ولما فرغت من تأليف هذا الكتاب رأيت عن السبكي وغيره بعض ما قدمته في هذا الفصل مع زيادات وبعض مخالفات لا تضر في الاصل المقصود فاذكر حاصله ليستفاد وليتقوى به ما ذكرته وهو . وقد صح خبر ما من احد يسلم عليّ الا رد الله عليّ روحي حتى ارد عليه السلام وقد صدّر به البيهقي باب زيارة قبر النبي صلى الله عليه وسلم واعتمد عليه جماعة من الائمة فيها كاحمد رحمه الله تعالى قال السبكي وهو اعتماد صحيح لتضمنه فضيلة رد النبي صلى الله عليه وسلم وهي فضيلة عظيمة . وذكر ابن قدامة الحديث من رواية احمد بلفظ ما من احد يسلم علي عند قبري الا الخ فان ثبت فهو صريح في تخصيص هذه الفضيلة بالمسلم عند القبر والا فالمسلم عند القبر امتاز بالمواجهة بالخطاب ابتداء وجواباً ففيه فضيلة زائدة على الرد على الغائب مع ان السلام عليه صلى الله عليه وسلم اما يقصد به الدعاء منا بالتسليم عليه من الله تعالى سواء لفظ الغيبة والحضور وهذا هو الذي قيل باختصاصه صلى الله عليه وسلم به من بين الامة حتى لا يسلم عليهم الا تبعاً واما يقصد به التحية كسلام الزائر اذا وصل لقبره الشريف صلى الله عليه وسلم وهو يعم الامة وهو مستدع للرد فيرده صلى الله عليه وسلم على المسلم عليه بنفسه او برسوله واما رده للاول فالله اعلم به فان ثبت امتاز الثاني بالقرب والخطاب والا فقد حرم من لم يزر قبره الشريف صلى الله عليه وسلم هذه الفضيلة وهو مقتضي ما فسر به المقبري احد اكابر شيوخ البخاري حديث ما من احد يسلم عليّ فقال هذا اذا زارني فسلم عليّ رد الله عليّ روحي حتى ارد عليه . واما خبر اتاني ملك فقال يا محمد اما يرضيك ان لا يصلي

عليك احد من امتك الا صليت عليه عشراً ولا يسلم عليك احد الا سلمت عليه عشراً فالظاهر انه بالسلام في النوع الاول

وصح من طرق خبر ان لله ملائكة سياحين في الارض يبلغوني من امتي السلام وجاءت احاديث اخر في عرض الملائكة لصلاة الامة وسلامها عليه بل وسائر اعمالها وهذا في السلام في حق الغائب واما الحاضر عند القبر فهل هو كذلك او يسمعه صلى الله عليه وسلم بلا واسطة فيه حديثان • احدهما وهو حديث ضعيف من صلى عليّ عند قبري سمعته ومن صلى عليّ نائياً بلغته وفي رواية ضعيفة جداً من صلى عليّ عند قبري رددت عليه ومن صلى عليّ في مكان آخر بلغونيه • ثانيهما وهو اضعف من الاول من صلى عليّ عند قبري وكل الله بها ملكاً يبلغني وكفي امر آخرته وكنت له شهيداً وشفيعاً وفي رواية ما من عبد يسلم عليّ عند قبري الا وكل الله بها ملكا يبلغني وكفي امر آخرته ودنياه وكنت له شهيداً وشفيعاً يوم القيامة • فان ثبت الاول فكفى بذلك شرفاً والا فهو مرجو فينبغي الحرص عليه • وصح من غير طريق ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا ويسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام • وفي رواية صحيحة ايضاً ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام • وروى ابن ابي الدنيا عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال اذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مرّ بقبر لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام والآثار في هذا كثيرة

مبحث ـ ما لابن تيمية مما يرد على الوهابية

وقد ذكر ابن تيمية نفسه ان كل المؤمنين اذا سلم عليهم الزائر عرفوه وردوا عليه السلام فاذا كان هذا في آحاد المؤمنين فكيف بسيد المرسلين صلى الله عليه

وعليهم وسلم · وقد وقع لجمع من الاولياء انهم سمعوا رد السلام عليهم من الحجرة الشريفة · وقد ثبتت حياة الانبياء ولا شك انها اكمل من حياة الشهداء المذكورة في القرآن الكريم · وروى المنذري خبر علمي بعد وفاتي كعلمي في حياتي · وصح خبر اكثروا الصلاة عليّ يوم الجمعة فانه مشهود تشهده الملائكة وان احداً ان يصلي عليّ الا عرضت علي صلاته حتى يفرغ منها قال ابو الدرداء قلت يارسول الله و بعد الموت قال و بعد الموت ان الله حرم على الارض ان تأكل اجساد الانبياء فنبي الله تعالى حي يرزق · قال السبكي وهو مرسل لكنه اعتضد · وصح خبر ان لله ملائكة سياحين يبلغوني عن امتي السلام · ونقل ابو منصور البغدادي عن محققي المتكلمين من اصحابنا انه صلى الله عليه وسلم حي بعد وفاته وانه صلى الله عليه وسلم يسر بطاعات امته وروى فيه حديث ولفظه حياتي خير لكم فاذا مت كانت وفاتي خيرا لكم تعرض عليّ اعمالكم فان رأيت خيراً حمدت الله وان رأيت غير ذلك استغفرت الله لكم

فان قيل قوله الا رد الله علي روحي دال على عدم استمرار الحياة فجوابه ان البيهقي استدل به على حياة الانبياء قال وانما اراد والله اعلم الا وقد رد الله عليّ روحي حتى ارد عليه · وقال بعضهم هو خطاب بحسب معقولنا انه لا بد من رد روحه صلى الله عليه وسلم حتى يسمع و يجيب ولا قائل بتكرار الرد لانه يفضي الى توالي موتات لا تنحصر مع انا نعتقد ثبوت نحو السمع والعلم لكل ميت وعود الحياة له في قبره كما ثبت في السنة ولم يثبت انه يموت بعد بل ثبت نعيم القبر وعذابه وادراكهما مشروط بالحياة لكن يكفي فيه حياة جزء يقع به الادراك فلا يتوقف على حياة البنية خلافاً للمعتزلة · واما ادلة حياة الانبياء فمقتضاها حياة الابدان كحالة الدنيا مع الاستغناء عن الغذاء او مع قوة النفوذ في العالم ·

وخبر انا اكرم على ربي من ان يتركني في قبري بعد ثلاث لا اصل له . وما روى عن ابن المسيب ما مكث نبي في الارض اكثر من اربعين يوماً لم يصح ولو صح فالزيارة والسلام مشروعان حتى عند ابن المسيب كيف وقصة سماعه الاذان والاقامة من القبر الشريف مشهورة اه المقصود من كتاب الجوهر المنظم للعلامة المحقق . وفي فتاوي العلامة الشيخ محمد عليش شيخ السادة المالكية بالديار المصرية ما نصه : قال ابو منصور البغدادي قال المتكلمون المحققون من اصحابنا ان نبينا صلى الله عليه وسلم حي بعد وفاته وانه يسر بطاعات امته وان الانبياء لا يبلون مع انا نعتقد ثبوت الادراكات كالعلم والسمع لسائر الموتى ونقطع بعود حياة كل ميت في قبره وبنعيم القبر وعذابه وهما من الاعراض المشروطة بالحياة لكنه لا يتوقف على البنية واما ادلة الحياة في الانبياء فمقتضاها انها مع البنية وقوة النفوذ في العالم مع الاستغناء عن العوائد الدنيوية ومن هنا قال ابو الحسن الاشعري رضي الله تعالى عنه النبي صلى الله عليه وسلم في حكم الرسالة الآن بعد موته وحكم الشيء يقوم مقام اصل الشيء فهو رسول الله الآن الا ترى ان المدة تدل على ما كان من احكام النكاح اه واخرج ابن عدي والبيهقي والترمذي وابن ماجه والعقيلي والخطيب وغيرهم مرفوعاً ان الاموات يتزاورون في اكفانهم اه

﴿ الرجوع الى ذكر ما في المنحة الوهبية ﴾

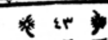
ولنرجع الى تمام ذكر ما اردناه من المنحة الوهبية بالمية السابقة فنقول قال مؤلفها واذا كان سائر الموتى ولو كفاراً يثبت لهم السماع ومعرفة من يزورهم ومن يمر عليهم واما انهم يعلمون باحوال اهل الدنيا ويتأذون بما يبلغهم عنهم من المكروه وما اشبه ذلك بالادلة الصحيحة الآتي بعضها تعلم ما باء به بعض الجهلة من نفي السماع والعلم ونحوهما عن الانبياء ولا سيما بنبينا صلى الله وسلم عليه وعليهم وكذا

عن الشهداء والاولياء رضوان الله تعالى عليهم • فقد روى الامامان البخاري ومسلم وغيرهما رحمهم الله تعالى ان الميت اذا دفن وتولى عنه اصحابه انه ليسمع قرع نعال المشيعين له اذا انصرفوا عنه • قال ابن ملك وغيره اي يسمع صوت دقها وفيه دلالة على حياة الميت في القبر لان الاحساس بدون الحياة ممتنع عادة قال واختلفوا في ذلك فقال بعضهم يكون باعادة الروح وتوقف ابو حنيفة في ذلك اه • قال العلامة القاري ولعل توقف الامام في ان الاعادة تتعلق بجزء البدن او كله اه • وروى البخاري ومسلم ايضاً من وجوه متعددة انه صلى الله عليه وسلم امر يوم بدر بقتلى من صناديد (١) كفار قريش بعد ايام من موتهم فالقوا في قليب اي بئر من آبارها ثم بعد ايام جاء حتى وقف عليهم وناداهم (٢) باسمائهم واسماء آبائهم يا فلان بن فلان و يا فلان ابن فلان الى اخرهم هل وجدتم ما وعد ربكم حقاً فاني وجدت ما وعدني ربي حقاً فقال له عمر رضي الله تعالى عنه يا رسول الله ما تخاطب من اقوام قد جيفوا وفي رواية ما تكلم من اجساد لا ارواح فيها فقال والذي بعثني بالحق ما انتم باسمع منهم وفي رواية باسمع لما اقول منهم ولكن لا يجيبون اي جواباً يسمعه الانس والجن او جواباً نافعاً في نجاتهم لانتهاء مدة التكاليف فلا ينافي الادلة الواردة بردهم وكلامهم كما مر و يأتي • وروى البخاري ومسلم ايضاً ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه • قال الامام النووي في شرح صحيح مسلم معناه انه يعذب بسماعه بكاء اهله و يرق لهم والى هذا ذهب الامام محمد بن جرير الطبري قال القاضي عياض وهو اولى

(١) اي ساداتهم وشجعانهم اه مؤلفه • (٢) وناداهم اي على سبيل التوبيخ لهم كما نص عليه ابن جابر الاندلسي اه مؤلفه

الاقوال اي النسمة وقد ذكرها الحافظ السيوطي في كتابه شفاء الصدور بشرح حال الموتى في القبور . ثم قال القاضي عياض ورأى عمر وابنه رضي الله تعالى عنهما ان الحديث المذكور على ظاهره مطلقاً واحتجوا فيه (١) بان النبي صلى الله عليه وسلم زجر لمرأة عن البكاء على ابنها وقال ان احدكم اذا بكى استعبر له صويحبه اي طلب نزول العبرة وهي دموع البكاء فيا عباد الله لا تعذبوا اخوانكم اه بل ثبت عند مسلم بلفظ ان الميت يعذب ببكاء الحي عليه اي سواء كان الباكي من اهل الميت ام لا فليس الحكم مختصاً باهله فقوله في الرواية السابقة ببكاء اهله خرج مخرج الغالب لان المعروف انه انما يبكي على الميت اهله فهذا كله يدل على ان الميت يسمع ولو من بعد البكاء عليه فيؤذيه ذلك ويعذبه . اقول وعلى كون المراد انه يعذب بنفس بكاء الحي عليه لا يخالفه قوله تعالى (ولا تزر وازرة وزر اخرى) لحمله حينئذ على ما اذا كان البكاء من سنته وعادته كان اوصى به بخلاف ما اذا لم يكن من سنته فانه لا شيء عليه ولما قوله تعالى (وليحملن اثقالهم واثقالاً مع اثقالهم) مع قوله تعالى (وان تدع مثقلة الى حملها لا يحمل منه شيء) ففي خصوص الضالين المضلين فانهم يحملون اثقال اضلالهم مع اثقال ضلالهم وكل ذلك اوزارهم ليس فيها شيء من اوزار غيرهم . روى البخاري في صحيحه لا تقتل نفس ظلماً الا كان على ابن آدم الاول كفل من دمها وذلك لانه اول من سن القتل اي فكذلك من كانت طريقته البكاء على الميت لانه سنة في اهله ففي هذا الحديث الرد على القائل بتخصيص التعذيب بمن يباشر الذنب بقوله او فعله لا بمن كان سبباً فيه ولا يخفى سقوطه . وانكار عائشة رضي الله تعالى عنها تعميم التعذيب بالبكاء لكل ميت واختصاصه بالكافر

(١) اي ظاهر الحديث اه لمؤلفه



حيث قالت ولكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ان الله يزيد الكافر عذاباً ببكاء اهله عليه اه محمول على انها اما سمعت صريحاً من النبي صلى الله عليه وسلم لاختصاص العذاب بالميت الكافر ولم يبلغها الحديث الذي فيه التعميم واما انها تكون فهمت ذلك الاختصاص من القرائن او يقال انه بلغها نفناً واته على الكافر ومع كل فالحديث ثابت برواية عمر وابنه رضي الله تعالى عنهما فلا يكون في دفعه سبيل بالظن وليس فيما حكت عائشة ما يرفع روايتهما لجواز ان يكون الخبران صحيحين معاً ولا منافاة بينهما فالميت انما تلزمه العقوبة بما تقدم من وصيته اليهم به وقت حياته وكان ذلك مشهوراً من مذاهبهم وهو موجود في اشعارهم كقول طرفة ابن العبد

اذا مت فانعيني بما انا اهله وشقي علي الجيب يا ابنة معبد

وعلى ذلك حمل الجمهور قوله ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه كما مر ولك ان تقول ذنب الميت الآمر بذلك فلا يختلف عذابه بامتثالهم وعدمه واجيب بان الذنب على السبب يعظم بوجود المسبب وشاهده حديث من سن سنة سيئة فعليه وزرها ووزر من عمل بها الى يوم القيامة وقال الشيخ ابو حامد الاصح ان الحديث الاول محمول على الكافر وغيره من اصحاب الذنوب وفي الموطأ وصحيح مسلم انها لما حدثت بالحديث المذكور قالت يغفر الله لابي عبد الرحمن تعني عمر رضي الله تعالى عنه الراوي للحديث اما انه لم يكذب ولكنه نسي او اخطأ انما مر رسول الله صلى الله عليـه وسلم على يهودية يبكي عليها اهلها فقال انهم ليبكون عليها وانها لتعذب في قبرها اه وهو يشعر بانها لم يبلغها الحديث الاول على انه يحتمل ان المعنى في هذا ان اليهودية تعذب في قبرها بكفرها في حال البكاء عليها لا بسبب البكاء وحلف عائشة رضي الله تعالى عنها بالله تعالى على

ان النبي صلى الله عليه وسلم ما حدث ان الميت ليعذب ببكاء اهله عليه مبنى على ظنها وزعمها او مقيد بسماعها كامر والا فمن حفظ حجة على من لم يحفظ والمثبت مقدم على النافي وكيف والحديث روى من طرق صحيحة بالفاظ صريحة مع انه بعمومه لا ينافي ما قالت بخصوصه على انه لا يخفى ان آية ولا تزر وازرة وزر اخرى التي استدلت بها تنافي بظاهرها ما ذكرت من ان الكافر هو الذي يعذب ببكاء اهله عليه فليتأمل اه من شرح القسطلاني وغيره · قال في المنحة وقد شرع النبي صلى الله عليه وسلم لامته اذا زاروا القبور ان يسلموا على اهلها سلام من يخاطبونه فيقول الزائر اي كما مر غير مرة السلام عليكم دار قوم مؤمنين وفي رواية يا اهل القبور من المسلمين (١) والمؤمنين انتم لنا سلف ونحن لكم تبع وانا ان شاء الله بكم لاحقون نسأل الله تعالى لنا ولكم العافية وهذا خطاب لمن يسمع و يعقل ولولا ذلك لكان هذا الخطاب بمنزلة خطاب المعدوم والجماد والسلف والخلف مجمعون على هذا وهو الصواب كما قاله ملا قاري في شرح المشكاة وذكر لفظ دار في الرواية الاولى مقحم او هو من ذكر اللازم لانه اذا سلم على الدار فاولى ساكنها او التقدير يا اهل دار وذكر المشيئة للتبرك والتفويض لان اللحوق محقق فهو كقوله تعالى (لتدخلن المسجد الحرام ان شاء الله آمنين) او المراد اللحوق على اتم الحالات فتصح المشيئة وقيل هو للتأديب فعن احمد بن يحيى استثنى الله تعالى فيما يعلم ليستثني الخلق فيما لا يعلمون وامر بذلك في قوله تعالى (ولا تقولن لشيء اني فاعل ذلك غداً الا ان يشاء الله) وقيل التعليق باعتبار اللحوق بخصوص اهل المقبرة ذكره الطيبي · وقد تواترت الاخبار بان الميت

(١) قوله من المسلمين بيان لاهل القبور وقوله والمؤمنين ذكره للتأكيد باعتبار تغاير الوصفين او المراد المخلصين لوجه الله تعالى اه لمؤلفه

يعلم بزيارة الحي له ويستبشر · فروى ابن ابي الدنيا في كتاب القبور بسنده عن عائشة رضي الله تعالى عنها انها قالت قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من رجل يزور قبر اخيه ويجلس عنده الا استأنس به ورد عليه حتى يقوم (١) · وروى بسنده ايضاً عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم اذا مر الرجل بقبر الرجل يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر الرجل لا يعرفه فسلم عليه رد عليه السلام ورواه ايضاً البيهقي في الشعب عن ابي هريرة مرفوعاً وكذا الصابوني في المائتين وذكره ابن القيم وابن عبد البر في الاستذكار والتمهيد عن ابن عباس وصححه الحافظ عبد الحق الاشبيلي في كتاب العاقبة واورده بن تيمية نفسه في كتاب اقتفاء الصراط المستقيم بمخالفة اصحاب الجحيم بلفظ ما من رجل يمر بقبر الرجل كان يعرفه في الدنيا فسلم عليه الا رد الله عليه روحه حتى يرد عليه السلام قال وهو صحيح الاسناد تلميذ ابن تيمية في كتاب الروح له وذكر بعده آثاراً كثيرة · ويكفي في هذا تسمية المسلم عليهم زائراً ولولا انهم يشعرون به لما صح تسميته زائراً فان المزور اذا لم يعلم بزيارة من زاره لم يصح ان يقال زاره هذا هو المعقول من الزيارة عند جميع الامم وكذلك السلام عليهم فان السلام على من لا يشعر بالمسلم يعد عبثاً فالسلام والخطاب والنداء في ذلك انما هو لموجود يسمع ويخاطب ويعقل ويرد وان لم يسمع الزائر الرد لعدم المجانسة في هذه الحالة الا اذا انخرقت له العادة كرامة · وروى العقيلي عن ابي هريرة رضي الله تعالى عنه قال قال ابو رزين يا رسول الله ان طريقي على الموتى فهل من كلام اتكلم به اذا مررت عليهم قال قل السلام عليكم يا اهل القبور الى آخره قال يا رسول

(١) قوله حتى يقوم غاية لقوله استأنس لا لقوله رد كما لا يخفى اه لمؤلفه

الله ايسمعون قال هم يسمعون ٠ وروى يزيد بن هارون بسنده ان ابن عباس خرج في جنازة في يوم فانتهى الى قبر قال فصليت ركعتين ثم اتكأت على ذلك القبر فوالله ان قلبي ليقظان اذ سمعت صوتاً من القبر اليك عني لا تؤذني فانكم قوم تعملون ولا تعلمون ونحن قوم نعلم ولا نعمل ولئن يكون لي مثل ركعتيك احب اليّ من كذا وكذا ٠ فدل هذا على ان الميت يعلم باحوال الحي و يغبطه على العبادة ٠ قلت وروى البخاري في صحيحه وابن مندة في كتاب الاهوال عن ابي سعيد الخدري رضي الله تعالى عنه قال كان النبي صلى الله عليه وسلم يقول اذا وضعت الجنازة وعند ابي داود الطيالسي اذا وضع الميت على سريره فاحتملها الرجال على اعناقهم فان كانت صالحة قالت قدموني وان كانت غير صالحة قالت لاهلها يا ويلها اين يذهبون بها يسمع صوتها كل شيء الا الانسان ولو سمع الانسان لصعق اي لغشي عليه او يموت من شدة هول ذلك وكونه غير مألوف فهذا يدل على ان الميت يتكلم حقيقة بلسان القال بحروف واصوات يخلقها الله تعالى فيه واسند الفعل الى الجنازة واراد الميت ٠ واخرج ابن ابي الدنيا عن عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مرفوعاً ما من ميت يوضع على سريره فيخطى به ثلاث خطوات الا تكلم بكلام يسمعه من شاء الله الا الجن والانس يقول يا اخوتاه يا حملة نعشاه لا تغرنكم الدنيا كما غرتني ولا يلعبن بكم الزمان كما لعب بي الحديث ٠ واخرج ابو الشيخ عن عبيد بن مرزوق كانت امرأة تقم المسجد فماتت فلم يعلم بها رسول الله صلى الله عليه وسلم فمر على قبرها فقال ما هذا القبر قالوا قبر ام محجن فقال اي العمل وجدت افضل قالوا يا رسول الله اتسمع فقال ما انتم باسمع منها فذكر انها اجابت قم المسجد انتهى ٠ وفي السيرة النبوية للسيد الدحلان ما نصه حكى العلامة ابن مرزوق ان عبد الله بن

عمر رضي الله تعالى عنهما مرمرة ببدر فاذا رجل يعذب و يئن من وجع العذاب فلما اجتاز به ناداه يا عبد الله قال ابن عمر رضي الله تعالى عنهما فما ادري اعرف اسمي ام كما يقول الرجل لمن يجهل اسمه يا عبد الله فالتفت اليه فقال اسقني فاردت ان افعل فقال الاسود الموكل بتعذيبه لا تفعل فان هذا من المشركين الذين قتلهم رسول الله صلى الله عليه وسلم ببدر قال الزرقاني هو ابو جهل وقد رواه الطبراني وابن ابي الدنيا وغيرهما وفي رواية ابن منده عن ابن عمر رضي الله تعالى عنهما بينما انا سائر بجنبات بدر اذ خرج رجل من حفرة وفي عنقه سلسلة فناداني يا عبد الله اسقني فلا ادري اعرف اسمي او دعاني بدعاية العرب وخرج رجل من تلك الحفرة في يده سوط فناداني يا عبد الله لا تسقه فانه كافر ثم ضربه بالسوط فعاد الى حفرته فاتيت النبي صلى الله عليه وسلم فاخبرته بذلك فقال لي قد رأيته قلت نعم قال ذلك عدو الله ابو جهل وذاك عذابه الى يوم القيامة . وروى ابن ابي الدنيا عن الشعبي ان رجلاً قال للنبي صلى الله عليه وسلم اني مررت ببدر فرأيت رجلاً يخرج من الارض فيضربه رجل بمقمعة معه حتى يغيب في الارض ثم يخرج فيفعل به مثل ذلك مراراً فقال صلى الله عليه وسلم ذاك ابو جهل بن هشام يعذب الى يوم القيامة انتهى . ثم اعلم ان عائشة ام المؤمنين رضي الله تعالى عنها انكرت سماع اهل القليب اي الكفار كما علمت فظن بعض من لا علم عنده من المتعالمين اي انها انكرت سماع الموتى مطلقاً حتى المؤمنين بل جعله بعض الجهلة سارياً حتى على الشهداء والانبياء بل وسيد المرسلين صلوات الله وسلامه عليه وعليهم اجمعين وذلك غفلة شديدة من البعض المذكور عن تحرير محل النزاع وتشبث منهم بما ليس لهم فيه انتفاع فان انكارها خاص بالكفار فقط ظناً منها رضى الله تعالى عنها ان السماع الثابت بنصه صلى

الله عليه وسلم لاهل القليب هو السماع المذكور في آية انك لا تسمع الموتى وآية وما انت بمسمع من في القبور لاعام لجميع الموتى لانها نثبته للمؤمنين منهم لقوله تعالى(ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا)وليس الامر كما ظنت رضى الله تعالى عنها كما قاله اساطين العلماء لان السماع المنفي في الآيتين انما هو سماع القبول والاذعان للايمان وذلك ان الله تعالى قد شبه الكفار الاحياء الذين لهم اسماع وابصار وعقول بالاموات لا من حيث انعدام الادراكات والحواس المذكورة وغيرها بل من حيث عدم قبولهم الهدى والايمان قبولاً نافعاً لهم وذلك ان الميت من حين تصل روحه للغرغرة و يشاهد منزلته في الآخرة بشخوص بصره لها لاينفعه الايمان لو آمن فالمعنى ان الذين كتب الله عليهم الشقاوة ازلا لا ينفعهم دعاؤك يا محمد لهم الى الايمان كما ان الموتى ومن في القبور من الاشقياء لا ينفعهم ايمانهم حينئذ لانهم قد رأوا عياناً ما كان مطلوباً منهم ان يؤمنوا به غيبياً فحيث وصلوا الى الموت لا يقبل منهم الايمان به . فالسماع هنا معناه القبول لا سماع الحاسة تقول فلان امرته بكذا فما سمع اي ما قبل ما امرته به وان كان سامعاً بحاسة اذنه فكذلك الكفار نزلت الآيتان المذكورتان فيهم والحال انهم احياء لهم ابصار واسماع لكن لكونه تعالى قد ختم على قلوبهم بالشقاء اخبر تعالى عنهم اي انك يا محمد لا تسمعهم اي لا يقبلون منك الايمان كما ان اهل القبور الكفار ومن مات منهم لا يقبل منهم الايمان . فالسماع الثابت في الاحاديث الصحيحة سماع الحاسة والسماع المنفي في الآيتين سماع القبول والاذعان وهذا ظاهر لمن القى السمع وهو شهيد . ونظيره ما حكاه الله تعالى من قول الكفار يوم القيامة زيادة في توبيخهم لانفسهم(لو كنا نسمع او نعقل ما كنا في اصحاب السعير)اي لو كنا نسمع سماع قبول او نعقل عقل تفكر في الحق حتى ننتفع به ما كنا في عداد

اصحاب النار وهم الشياطين فالمراد سماع غير سماع الحاسة قطعاً والا فجوابهم كاملة بالمشاهدة والعيان . والى ذلك اشار الجلال السيوطي في قوله سماع موتى كلام الخلق قاطبة جاءت به عندنا الآثار في الكتب وآية النفي معناها سماع هدى لا يقبلون ولا يصغون للادب . والدليل على ان المنفي في الآيتين انما هو سماع القبول انه سبحانه وتعالى بعد قوله انك لا تسمع الموتى الخ قد قال ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فاثبت سبحانه وتعالى للمؤمنين السماع الذي هو بمعنى القبول . فمن جعل السماع المنفي في الآيتين بمعنى سماع الحاسة قلنا له قد اثبته الله تعالى على قولك للمؤمنين وهو مطلوبنا فيكون ثبوت السماع للموتى بنص القرآن الشريف فكيف تجحد النص القرآني كما جحدت نص الحديث الذي ما بعد كتاب الله تعالى اصح منه . والدليل على ان عائشة رضي الله تعالى عنها انما انكرت سماع الموتى الكفار فقط ما ثبت عنها في الحديث المتقدم مرات ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال ما من رجل يزور قبر اخيه و يجلس عنده الا استأنس به ورد السلام عليه حتى يقوم فهذا قد اثبت الاستئناس ورد السلام المستلزم للسماع وقوله حتى يقوم متعلق باستأنس كما هو ظاهر . على ان عائشة رضي الله تعالى عنها نفت السماع عن الموتى المذكورين واثبتت لهم العلم فقالت في حديث عمر السالف انما قال رسول الله صلى الله عليه وسلم انهم الآن ليعلمون ان ما كنت اقول لهم حق اه (١) . وقد قال علماء الامة ان العلم لا يمنع السماع ولا ينافيه كما حققه ابن تيمية نفسه وتلميذاه ابن القيم وابن رجب والحافظ السيوطي وغيرهم لان الموت لو كان عدماً محضاً كما يزعمه الجهلة الاوباش لانتفى عن الميت جميع الادراكات وهو خلف . فاذا اثبتت عائشة رضي الله تعالى

(١) اي من التوحيد والايمان وغيرهما اه لمؤلفه

عنها العلم للاموات بهذا النص المروي عنها في صحيح البخاري وغيره تحقق انها
تثبت لهم الادراكات لكنها ظنت ان السماع الذي اثبته الصحابة رضوان الله
تعالى عليهم عن النبي صلى الله عليه وسلم غير سماع القبول والمدعى مع انه لا يقع
اتفاقاً بل ما قررناه هو الحق الجامع بين اقوال الصحابة و بين قولها والجامع بين
قوليها في روايتها حديث الزيارة كما اتضح ٠ وفي مغازي ابن اسحاق رواية يونس
ابن بكير باسناد جيد واخرجه احمد باسناد حسن عن عائشة رضي الله تعالى عنها
مثل هذا الحديث وفيه ما انتم باسمع لما اقول منهم قال القسطلاني وغيره فان
كان محفوظاً فلعلها رجعت عن الانكار لما ثبت عندها من رواية الصحابة لكونها
لم تشهد القصة ٠ وعبارة السهيلي اذا جاز ان يكونوا يعني الاموات في هذه الحالة
عالمين جاز ان يكونوا سامعين وذلك اما باذان رؤسهم على قول الاكثر او باذان
قلوبهم وقد تمسك به من يقول ان السؤال يتوجه على الروح والجسد ورده من
قال انما يتوجه على الروح فقط بان الاسماع يحتمل ان يكون لاذن الراس او
اذن القلب فلم يبق فيه حجة انتهت ٠ وفي شرح مسلم للنووي قال المازري قيل
ان الميت يسمع عملاً بظاهر حديث القليب وفيه نظر لانه خاص في حق
هؤلاء يعني اصحابه الذين قذفوا فيه ورد عليه القاضي وقال يحمل سماعهم على
ما يحمل عليه سماع الموتى في احاديث عذاب القبر وفتنته التي لا مدفع لها وذلك
باحيائهم او احياء اجزاء منهم يعقلون بها و يسمعون في الوقت الذي يريده
الله قال الشيخ هذا هو المختار اه وروى مسلم في صحيحه ان النبي صلى الله عليه
وسلم قال ان هذه الامة تبتلي في قبورها فلولا (١) ان لا تدافنوا لدعوت الله

(١) قوله فلولا ان لا تدافنوا بحذف احدى التاءين اي لولا مخافة عدم
التدافن اذا كشف لكم اي ان الكشف عن ذلك العذاب يؤدي جهلة العامة

ان يسمعكم من عذاب القبر الذي اسمع منه ٠ فان قلت قد ذكر ابن الهمام في شرح الهداية ان اكثر مشايخه الحنفية ذكروا في كتاب الايمان ان الميت لا يسمع وقالوا لو حلف لا يكلمه فكلمه ميتاً لا يحنث ٠ فالجواب ان الشيخ عليا القاري الحنفي ايضاً قد قال في شرح المشكاة اثناء كلامه على حديث اهل القليب المتقدم بعد ان ساق ما ذكر ان هذا منهم مبني على ان مبنى الايمان على العرف فلا يلزم منه نفي حقيقة السماع عن الاموات كما قالوا فيمن حلف لا يأكل اللحم فاكل السمك من انه لا يحنث مع انه تعالى سماه لحماً طرياً اقول فكذلك هنا لان المتكلم المراد منه في اليمين المذكورة المتعارف وهو الذي يكون فيه محاورة بأخذ الكلام ورده على العادة ولما كان الميت يسمع ولكن لا يرد رداً متعارفاً بل رداً نؤمن به ولا يسمعه الا بعض افراد منا كرامة فقط لم توجد حقيقة التكلم العرفي فلهذا صح قولهم بعدم حنث الحالف المذكور لكون الميت لا يسمع اي السماع المتعارف وهذا ظاهر لا غبار عليه اصلاً ٠ وعبارة الزمخشري في كشافه تحت قوله تعالى وهو الذي سخر البحر لتأكلوا منه لحماً طرياً صورتها : فان قلت ما بال الفقهاء قالوا اذا حلف الرجل لا يأكل لحماً فاكل سمكاً لم يحنث والله تعالى سماه لحماً كما ترى ٠ قلت مبنى الايمان على العادة وعادة الناس اذا ذكر اللحم على الاطلاق ان لا يفهم منه السمك واذا قال الرجل لغلامه اشتري بهذه الدراهم لحماً فجاء بالسمك كان حقيقاً بالانكار ومثاله ان الله سبحانه وتعالى سمى الكافر دابة في قوله ان شر الدواب عند الله الذين كفروا فلو حلف حالف انه لا يركب

الى ترك الدفن و يؤدي الخاصة الى اختلاط العقول من هول العذاب فلا يقربون جيفة ميت ففي عدم الاطلاع مصلحة كبرى اه من شرح المشكاة لملا قاري٠

دابة فركب كافراً لم يحنث انتهت · ثم قال ابن الهمام واجابوا عن هذا الحديث يعني حديث اهل القليب تارة بانه مردود من عائشة رضى الله تعالى عنها حيث قالت كيف يقول رسول الله صلى الله عليه وسلم ذلك والله تعالى يقول وما انت بمسمع من في القبور انك لا تسمع الموتى اه · قال العلامة القاري راداً هذا الكلام اقول والحديث المتفق عليه لا يصح ان يكون مردوداً لا سيما ولا منافاة بينه و بين القرآن فان المراد من الموتى الكفار والنفي منصب على نفي النفع لا على مطلق السمع بدليل قوله تعالى ان تسمع الا من يؤمن بآياتنا فهو نظير قوله تعالى صم بكم عمي فهم لا يعقلون مع ان لهم عقولاً لكنهم لا ينتفعون بها في قبول الايمان والهدي او النفي منصب على نفي الجواب المترتب على السماع · فالآية كما قاله العلامة الامير في حواشي شرح الجوهرة تمثيل لحال الكفار بظاهر حال الميت · وعبارة القاضي البيضاوي في قوله تعالى انك لا تسمع الموتى وهم مثلهم لما سدوا مشاعرهم عن الحق ان الله يسمع من يشاء اي هدايته فيوفقه لفهم آياته والاتعاظ بعظاته وما انت بمسمع من في القبور ترشيح لتمثيل المصرين على الكفر بالاموات ومبالغة في اقناعهم (١) انتهت فالآية من قبيل انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء قال ابن الهمام وتارة بان تلك خصوصية له صلى الله عليه وسلم معجزة وزيادة حسرة على الكافرين · قال الشيخ علي القاري و يرده ان الاختصاص لا يصح الا بدليل وهو مفقود هنا بل السؤال (٢) والجواب ينافيانه · ثم قال ابن الهمام وتارة بانه من ضرب المثل قال العلامة

---

(١) نسخة في اقناط عنهم · (٢) اي من عمر للنبي صلى الله عليه وسلم في الحديث اه مؤلفه

القاري و يدفعه جوابه صلى الله عليه وسلم المشتمل على القسم كما مر· ثم قال ابن الهمام ويشكل عليهم يعني مشايخه الحنفية خبر مسلم ان الميت ليسمع قرع نعال المشيعين له اذا انصرفوا عنه اللهم الا ان يخصوا ذلك باول الوضع في القبر مقدمة للسؤال جمعاً بين هذا الحديث وبين الآيتين فانهما قد يفيدان تحقق عدم سماعهم فانه تعالى شبه الكفار بالموتى لافادة بعد سماعهم وهو فرع عدم سماع الموتى اه كلامه · قال العلامة القاري وهو كما ترى فيه نوع نقض لايحصل به جمع مع ان ما ورد من السلام على الموتى يرد على التخصيص باول احوال الدفن اه ووجه النقض انه اذا حصل السماع لاهل القبور في بعض الاحوال ثبت لهم في كلها اذ لا نص ينفي ذلك في بقية الاحوال ثم بثبوت البعض ينتقض عموم الآيتين فتناقضا مع الاخبار الصحيحة والشريعة لا يصح فيها تناقض بالحقيقة اصلاً كما صرح به الشعراني وغيره وسنذكره عند الكلام على الفرقة الثانية ان شاء الله تعالى · على ان الحنفية قد اطبقوا كغيرهم على سنية السلام على اهل القبور في كل وقت · وقال العلامة ابن ملك في شرح المصابيح عند الكلام على حديث السلام على اهل القبور ما نصه : ومما يرد عن البعض القائلين بعدم سماع الموتى ما ورد في الحديث الذي اخرجه احمد وابو داود في سننه والحاكم في مستدركه وابن ابي شيبة في مصنفه والبيهقي في كتاب عذاب القبر والطيالسي وعبد بن حميد في مسنديهما وهناد بن السري في الزهد وابن جرير وابن ابي حاتم وغيرهم من طرق صحيحة عن البراء بن عازب رضي الله تعالى عنه في فتنة القبر والسؤال وفي آخر الحديث في المؤمن فينادي مناد من السماء ان صدق عبدي فافرشوا له من الجنة والبسوه من الجنة وافتحوا له باباً الى الجنة فيأتيه من روحها وطيبها ويفسح له فيها اي في تربته مد بصره ويأتيه رجل

حسن الوجه حسن الثياب طيب الريح فيقول ابشر بالذي يسرك فيقول له من انت فوجهك الوجه الذي ياتي بالخير فيقول انا عملك الصالح فيقول رب اقم الساعة رب اقم الساعة حتى ارجع الى اهلي ومالي وفي الكافر عكس ذلك وفيه ويعاد روحه في جسده · فهذا الحديث يدل على ان الميت يسمع و يبصر ويشم ويتكلم و يعقل و يفهم و يخاطب و يراجع الخطاب وكل هذه امور واقعة بعد السوال وهي مما اجمع عليها العلماء خلافاً لحثاذيل الجهلاء والحديث المذكور متواتر كما قاله الحافظ السيوطي · ومعنى و يفسح له فيها مد بصره اي عند الله تعالى وان كان في رويتنا ليس الامر كذلك لان احوال البرزخ مخالفة لحالة الدنيا ملحقة بالآخرة كما مر غير مرة وقد صرحوا بأنه يتعين البقاء مع الظواهر في جميع ما ورد من احكام الآخرة الا ان يدل دليل على امتناعه لان حمل اللفظ على احتماله البعيد مجاز وشرطه القرينة المانعة من حمله على احتماله القريب الظاهر منه ومع عدمها لا يجوز حمل اللفظ عليه لما فيه من اثبات المشروط بدون شرطه فافهم · وقال العلامة الشيخ عبد الحي اللكنوي الهندي السالف ذكره في كتابه تذكرة الراشد ان القول بنفي سماع الموتى مردود عند الناقدين ومطرود عند الماهرين فقد وردت اخبار وآثار صحيحة كثيرة بسماع كل ميت وادراكه ولو كان من الكفار والفجار واما الاستدلال على نفي سماع الموتى بنحو قوله تعالى انك لا تسمع الموتى ولا تسمع الصم الدعاء وقوله وما انت بمسمع من في القبور فهو غير صحيح عند الاثبات لوجوه · احدها ان المراد في الآيات هو الكافر المتصف بالموت القلبي لا الميت الحقيقي والعرفي كما في قوله تعالى او من كان ميتاً فاحييناه وجعلنا له نوراً يمشي به في الناس الآية ونظيره قوله تعالى في شأن الكفار صم بكم عمي فهم لا يرجعون وقوله في حقهم ومثل الذين كفروا كمثل

الذي ينعق بما لا يسمع الا دعاء ونداء صم بكم الآية وقوله في وصفهم ولا تسمع الصم الدعاء وقوله في صفتهم اولئك كالانعام بل هم اضل الى غير ذلك من الآيات التي وصفهم الله تعالى فيها باوصاف الحيوانات والجمادات واطلق عليهم ما يطلق على فاقد المشاعر والادراكات على سبيل التشبيه والاستعارات فهل يصح لاحد ان يقول ان المراد بالصم والعمي والبكم وغيرها معناها الحقيقي والعرفي كلا والله لا يقول به الا جاهل بالمحاورات العربية عار عن فهم الاستعارات الادبية ولو تتبعت القرآن لوجدت فيه مثل هذا اكثر كثير وبالجملة فهذه الآيات التي فيها نفي سماع الاموات واردة في حق الكفار الاحياء المشبهين بالاموات فهي نظائر قوله تعالى انك لا تهدي من احببت ولكن الله يهدي من يشاء ويدل على ذلك سباق تلك الآيات وسياقها وكل من له ادنى وقوف باسرار القرآن لا يكاد يتوقف في بطلان اخذ المعنى الحقيقي فيها المخالف لسياقها ٠ ثانيها ان لو سلمنا ان المراد بالميت ومن في القبر هو معناه العرفي فلا يكون في تلك الآيات اثر لنفي السماع البشري بل نفي فيها الاسماع النبوي فانه خوطب النبي صلى الله عليه وسلم فيها بانك لا تسمعهم اي لا تقدر على اسماعهم فلا يلزم نفي سماعهم باسماع ربهم ونظيره قوله تعالى (وما رميت اذ رميت ولكن الله رمى) وقوله (انك لا تهدي من احببت) وقوله (انتم تزرعونه ام نحن الزارعون) ويؤيده قوله تعالى في تلك الآيات (ان الله يسمع من يشاء) ٠ ثالثها لو سلمنا ان المقصود من هذه الايات نفي سماع الاموات فكثيرا ما يحكم بعدم شيء باعتبار عدم تحقق اثره بقوته ولا يلزم منه عدمه رأسا كما في قوله تعالى (وما رميت اذ رميت) حيث نفي الرمي عن النبي صلى الله عليه وسلم مع ثبوته عنه لعدم ترتب اثره وهو وصول قبضة من تراب في اعين جمع من اعدائه بقوة نفسه بل بقدرة ربه

فظهر بهذا كله ان زعم كون ظاهر تلك الآيات يدل على نفي سماع الموتى باطل من اصله بل هي محمولة على الكفار بيقين ولا يقال ان الكفار لما شبهوا فيها بالاموات دل ذلك على عدم سماع الاموات فان وجه الشبه لا بد ان يتحقق في المشبه به بوجه اتم وليس هو ها هنا الا نفي السماع لانا نقول من المعلوم ان وجه الشبه لا بد وان يكون مشتركاً بين المشبه به والمشبه وعدم السماع ليس متحققاً ها هنا في المشبه فكيف يصح جعله وجه الشبه بل الصحيح ان وجه الشبه ها هنا هو عدم اجابة الحق ونفي السماع باختيار الحق ولا شبهة في كونه اتم في الميت الحقيقي من ميت القلب لكونه مرتحلاً من دار التكليف الى البرزخ ولا يلزم منه نفي سماعه بالكلية وعدم احساسه وشعوره وادراكه لكل جزئية وكلية فقد ورد اخبار كثيرة صحيحة مرفوعة باثبات العقل والادراك والسماع لكل ميت ولو كان من الطوائف القبيحة وشهدت بذلك اثار موقوفة على الصحابة ومن بعدهم من حملة الشريعة والموقوفة في هذه المسألة في حكم المرفوعة لما بين في كتب الحديث وليس ذلك خاصاً بوقت عود الروح الى الجسد في القبر عند السؤال بل هو حاصل للميت قبل وبعد كما صرحت به الادلة التي خرجها الحفاظ الثقات التي تبلغ بمجموعها الى حد التواتر المعنوي وان لم يكن شيء منها متواتراً بعينه بالتواتر اللفظي فكيف مع هذا تنكر ادراكات الاموات وتشبه بالجمادات الخالية عن مطلق الاحساسات ومن اراد ازاحة شبهاته الركيكة فليرجع الى كتب الائمة سادات الامة ومن لم يفتح بصره ولم يرفع كدره فليبك على نفسه الى ان يدخل في رمسه فيسمع فيه خطابات الاحياء ويبدو له ما لم يكن يحتسب ويحصل له علم اليقين بسماع الميت والدفين فيتحسر على ما فات منه من الاعتقاد المتين عصمنا الله تعالى وجميع المسلمين من مثل هذه الحسرة وازاح

هذا بفضله النفلة والفترة انه كريم اه بتلخيص واختصار

واخرج ابن ابي الدنيا ان عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه مر بالبقيع فقال السلام عليكم يا اهل القبور اخبار ما عندنا ان نساءكم قد تزوجت ودياركم قد سكنت واموالكم قد فرقت فاجابه هاتف يا عمر بن الخطاب اخبار ما عندنا ان ما قدمناه فقد وجدناه وما انفقناه فقد ربحناه وما خلفناه فقد خسرناه ٠ واخرج الحاكم والبيهقي وابن عساكر عن سعيد بن المسيب قال دخلنا مقابر المدينة مع علي بن ابي طالب كرم الله تعالى وجهه فنادى يا اهل القبور السلام عليكم ورحمة الله تخبرونا باخباركم ام تريدون ان نخبركم قال فسمعنا صوتاً من داخل القبر وعليك السلام ورحمة الله وبركاته يا امير المؤمنين خبرنا عما كان بعدنا فقال سيدنا علي وقيل له من الاموات بنحو ما مر كما بسطه الحافظ السيوطي في شفاء الصدور ٠ وثبت في السنة الصحيحة ايضاً ان الميت يسمع قراءة القرآن وتسبيح نحو الحشيش الرطب ولذا يكره قطعه من المقابر وانه يستأنس بذلك كما في سائر كتب الحنفية وغيرهم فاذا ثبت سماع الميت لذلك خصوصاً وتسبيح نحو الحشيش لا يسمع للاحياء فكيف ينفي السماع عن صوت المنادي له فالمراد ذلك البعض من الحنفية الا ما قاله العلامة القاري٠ من ان الايمان مبنية على التعارف المعتاد وحينئذ ذهب الاشكال ولم يلزم التناقض في كلامهم في باب الايمان وحصل حينئذ ايضاً الايمان بقول الرسول صلى الله عليه وسلم واصحابه في الاخبار الصحيحة الثابتة بلا شك وحصل ايضاً الاجماع ولله الحمد ٠ على انه لو فرضنا ان القائل بعدم السماع المذكور وهو الامام نفسه فهو قد ثبت عنه رضي الله تعالى عنه انه قال كغيره من الائمة رضوان الله تعالى عليهم اذا صح الحديث فهو مذهبي بل

المشهور من مذهبه الاخذ بالمرسل والضعيف لاعتناء بشدة المتابعة لرسول الله صلى الله عليه وسلم فكيف يمكن المخالفة للاحاديث الصحيحة المستفيضة فهذا البعض من المشايخ يتبين عذره فلا يجوز لاحد ان يترك الحديث الصحيح الوارد عنه صلى الله عليه وسلم و يأخذ بقول غيره ۰ وقد اطبق ائمة الحنفية على سنية زيارة النبي صلى الله عليه وسلم وزيارة صاحبيه رضي الله تعالى عنهما والسلام عليهم وطلب الشفاعة منهم فلو كانوا قائلين بعدم سماع النبي صلى الله عليه وسلم والصاحبين معاذ الله لكان كلامهم متناقضاً بل بقولهم بسنية زيارة قبور المسلمين والسلام عليهم يحصل التناقض لكن قد علمت ما حققه العلامة القاري من ان كلامهم في باب الايمان مبني على المتعارف فارتفع الاشكال وزال التناقض بكل حال وها انا ازيدك بذكر ما لابن تيمية نفسه في هذا البحث قال في كتابه الانتصار للامام احمد رضي الله تعالى عنه ما لفظه : وانكار عائشة رضي الله تعالى عنها سماع اهل القليب الكفار معذورة فيه لعدم بلوغها النص وغيرها لا يكون معذوراً مثلها لان هذه المسئلة صارت معلومة من الدين بالضرورة اه فيلزم على كلامه هذا ان من ينكر سماع الموتى الكفار يكفر لان جاحد المعلوم من الدين بالضرورة كافر كما في جميع كتب المذاهب ۰ على ان البعض الذي انكر سماع الموتى انما انكره في حق الكفار فقط كما علمته من كلام عائشة رضي الله تعالى عنها واما النبي صلى الله عليه وسلم و بقية الانبياء والشهداء واولياء الامة فلم يقل احد بعدم سماعهم لا عائشة ولا غيرها ۰ وحينئذ تعلم سوء ما تجاهر به بعض جهلة زماننا يعني به نعمان الالوسي في جلائه وامثاله من اطلاقهم عدم سماع الموتى حتى في حق نبينا صلى الله عليه وسلم والامر لله الواحد القهار المنتقم الجبار ۰ وقال ابن تيمية ايضاً في فتاواه ما صورته : مسئلة في الاحياء اذا

زاروا الاموات هل يعلم الاموات بزيارتهم وهل يعلمون بالميت اذا مات من قرابتهم او غيره ام لا الجواب ثم قد جاءت الآثار بتلاقيهم وتسؤلهم وعرض اعمال الاحياء على الموتى كما روى ابن المبارك عن ابي ايوب الانصاري قال اذا قبضت نفس المؤمن تلقاها اهل الرحمة من عباد الله كما يتلقون البشير في الدنيا فيقبلون عليه و يسألونه فيقول بعضهم لبعض انظروا اخاكم يستريح فانه كان في كرب شديد قال فيقبلون عليه و يسالونه ما فعل فلان ما فعلت فلانة هل تزوجت الحديث ٠ واما علم الميت بالحي اذا زاره ففي حديث ابن عباس قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما من احد يمر بقبر اخيه المؤمن كان يعرفه في الدنيا فيسلم عليه الا عرفه ورد عليه السلام قال ابن عبد البر ثبت ذلك عن النبي صلى الله عليه وسلم وصححه عبد الحق صاحب الاحكام واما ما اخبر الله به من حياة الشهيد ورزقه وما جاء في الحديث الصحيح من دخول ارواحهم الجنة فقد ذهب طوائف الى ان ذلك مختص بهم دون الصديقين وغيرهم والصحيح الذي عليه الائمة وجماهير اهل السنة ان الحياة والرزق ودخول الارواح الجنة ليس مختصاً بالشهيد كما دل على ذلك النصوص الثابتة وانما اختص الشهيد بالذكر لكون الظان يظن انه يموت فينكل عن الجهاد فاخبر بذلك لتزول الشبهة المانعة عن الاقدام على الجهاد والشهادة كما نهى عن قتل الاولاد خشية الاملاق لانه هو الواقع وان كان قتلهم لايجوز مع عدم خشية الاملاق اه بحروفه ٠ وهو نص صريح من شيخ هؤلاء الطائفة الذين يزعمون انهم متبعون له وهو اجهل الخلق بنصوصه ومقاصده من ان سائر الاموات حياتهم كحياة الشهداء ورزقهم كرزقهم فكيف بمن يكون عيالاً على اقواله يزعم شيئاً يخالف كلامه فيجعل رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يسمع ولا يرى ولا يعلم ولا

يعرف من زاره ونداه وطلب منه الشفاعة لكن هؤلاء الحمقى ليسوا متبعين لاحد بل هم متبعون هواهم فنعوذ بالله من الضلال وقال ابن القيم تلميذ ابن تيمية المذكور كما نقله الحافظ السيوطي في شفاء الصدور الاحاديث والآثار تدل على ان الزائر للاموات متى جاءهم علم به المزور منهم وسمع كلامه وانس به ورآه ولذا كانت السنة ان يأتي الزائر من قبل رأس الميت حتى لا يكون هناك تعب لبصره وهذا عام في حق الشهداء وغيرهم وانه لا توقيت في زيارتهم قال وهذا اصح من اثر الضحاك الدال على التوقيت بيوم الجمعة ويوم قبله ويوم بعده اه وقال العلامة المحقق في حاشية المناسك وما ورد من انهم يعني الاموات يعلمون الزائر لهم في هذه الايام يعني الخميس والجمعة والسبت ليس معناه دون غيرها من بقية الايام بل المعنى ان الاموات يزيد علمهم وكشف الغطاء عنهم فيها للادلة على دوام علمهم بزوارهم في يوم الجمعة ويوم قبله ويوم بعده كما نقله في الاحياء اه

النصوص على ان الميت يرى

ومن النصوص الدالة على ان الميت يرى ما ثبت في صحيح البخاري ومسلم من انه ما من ميت الا يعرض عليه مقعده بالغداة والعشي ان كان من اهل الجنة فمن اهل الجنة وان كان من اهل النار فمن اهل النار والعرض المذكور يقتضي الرؤية لمقامه لان الغرض منه زيادة تنعم السعيد وتعذيب الشقي قال الله تعالى في حق آل فرعون (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) فلو لم ير الميت المعروض عليه لم تحصل فائدة من العرض عليه . واخرج ابو نعيم عن عمرو بن دينار ما من ميت يموت الا روحه في يد ملك تنظر الى جسده كيف يغسل وكيف يكفن وكيف يمشي به ويقال له وهو على سريره اسمع ثناء الناس عليك واخرج ابن ابي الدنيا عن عمرو

المذكور ما من ميت يموت الا وهو يعلم ما يكون في اهله بعده وانهم ليغسلونه ويكفنونه وانه لينظر اليهم . واخرج احمد والطبراني وابن ابي الدنيا والمروزي وابن مندة عن ابي سعيد الخدري ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يعرف من يغسله ومن يحمله ومن يكفنه ومن يدليه في حفرته واخرج ابن ابي الدنيا عن مجاهد قال اذا مات الميت فما من شيء الا وهو يراه عند غسله وحمله حتى يوصله الى قبره . وفي صحيح البخاري ان منكرًا ونكيرًا يقولان للميت بعد المسائلة انظر الى مقعدك من النار قد ابدلك الله به من الجنة فيراهما جميعاً . وكذلك يفهم من حديث اذا مر الرجل بقبر يعرفه فسلم رد عليه السلام وعرفه واذا مر بقبر لا يعرفه فسلم رد عليه السلام ومن حديث الاستئناس بالزائر حتى يقوم السابقين ان الميت يرى من يزوره لانه لو لم يرَ لما عرف ولا استأنس بمن كان يعرفه ولا عرف من لا يعرفه في الدنيا فانه في الاول يرد عليه السلام ويعرفه وفي الثاني يرد عليه ولا يعرفه لانه ما كان يعرفه في الدنيا . قال القسطلاني في شرح الصحيح وروى مرفوعاً ان الميت ليعرف من يحمله ومن يغسله ومن يدليه في قبره . وعن مجاهد اذا مات الميت فما من شيء الا وهو يراه عند غسله وعند حمله حتى يصير الى قبره اهـ . ومن النصوص ايضاً ما اخرجه الامام احمد والحاكم عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت كنت ادخل البيت فاضع ثوبي واقول انما هو ابي وزوجي فلما دفن معهما عمر بن الخطاب ما دخلته الا وانا مشدودة علي ثيابي حياء من عمر وذكره الخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح والمقصود ان عمر رضي الله تعالى عنه يراها وهي اجنبية عنه وهذا لا تقوله عائشة من عند نفسها اذ ليس للرأي فيه مجال فلا بد انها سمعته من النبي صلى الله عليه وسلم . وفي [illegible]ربعين الطائية روى عن النبي

صلى الله عليه وسلم انه قال انس ما يكون الميت في قبره اي اشد انسه حينئذ اذا زاره من كان يحبه في دار الدنيا فهذا وما مر يدل على روٴية الميت لمن يزوره اويمر عليه والا فكيف يستأنس الميت بمن لم يره · واستدل الغزالي على قوله في الدرة الفاخرة وربما كشف للميت عن الامر الملكوتي بما رواه ابن ابي الدنيا في كتاب المحتضرين عن علي بن الجعد عن عبد الرحمن بن ثابت بن ثوبان عن ابيه عن مكحول قال قال عمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه احضروا موتاكم وذكروهم فانهم يرون مالا ترون ولقنوهم لا اله الا الله · وقال ابو بكر المروزي في كتاب الجنائز حدثنا القواريري حدثنا يزيد بن ذريع اخبرنا يونس عن الحسن قال قال عمر رضي الله تعالى عنه احضروا موتاكم ولقنوهم لا اله الا الله فانهم يرون و يقال لهم وقال المروزي ايضاً حدثنا سريج حدثنا هشيم اخبرنا يونس بمثله قال السيوطي في الامالي هذا اثر لا بأس به ورجاله كلهم ثقات الا ان الحسن ومكحولاً لم يدركا عمر اهـ

اثبات ان الميت يسمع

ومن النصوص الدالة على ان الميت يسمع ما في صحيح مسلم عن عمرو ابن العاص رضي الله تعالى عنه انه قال في مرض موته اذا (١) دفنتموني فشنوا عليّ التراب شناً اي فرقوا على قبري التراب وصبوه من كل وجه ثم اقيموا عند قبري قدر ما تنحر جزور و يقسم لحمها انس بكم وانظر ماذا اراجع به رسل ربي · و يدل ايضاً على ان الميت يرى عرض اعمال الاحياء على الموتى لان الظاهر ان المراد بعرضها عرض صحائفها التي تكتبها الحفظة من الملائكة وذلك يستدعي نظرها لانه لو لم يوجد لما صح العرض عليهم واكثر الناس لا يعلم ثبوت

(١) قوله اذا دفنتموني اي اردتم دفني فشنوا اي صبوا وكبوا اهـ قاري

عرض اعمال الاحياء على الاموات لعدم اطلاعهم على السنة النبوية والآثار المروية في هذه القضية

❊ اثبات عرض الاعمال على الاموات ❊

وكان بعض من يدعي العلم في زعمه وهو اجهل من هبنقة (١) يقول كيف يعلم الانبياء والاولياء بمن يستشفع بهم و يناديهم فقلت له هم مكشوف لهم في الدنيا وهم على ما هم عليه بعد موتهم بل اشد او يكون ذلك على وجه الكرامة بخرق العادة وهي ثابتة لهم او بعرض الاعمال عليهم الوارد في الاحاديث الصحيحة فانكر ذلك فاتيته بكتب الحديث المصنفة في احوال اهل القبور فلما رآها وكان لا يعرفها قال هذا في الاقارب فقط فقلت ان في الاحاديث والآثار ما يدل على ان ذلك ثابت في الاقارب والاجانب فعاند حتى مات . وها نحن نذكر لك بعض الوارد في ذلك وليس علينا غير تصحيح نقلنا فان الناقل كالرسول المبلغ ما عليه الا البلاغ ولسنا من اهل الاجتهاد ولا الادعاء ولا ممن يحكم عقله و يترك نقول العلماء ونصوصهم الذين هم نقلة الدين لنا خلفاً عن سلف ولولاهم ما عرفنا ديننا ومن لم يصغ له فيهمل لانه جاحد و معاند فنقول . اما عرض اعمال الامة على سيدنا رسول الله صلى الله عليه وسلم فيدل له ما رواه البزار بسند رجاله رجال الصحيح عن ابن مسعود رضي

(١) قوله هبنقة لقب لذي الودعات يزيد بن شروان من بني قيس ابن ثعلبة يضرب به المثل في الحمق لقب بذلك لانه جعل في عنقه قلادة من ودع وعظام وخزف مع طول لحيته فسئل عن ذلك فقال لئلا اضل اعرف بها نفسي فسرقها اخوه في ليلة وتقلدها فاصبح هبنقة ورآها في عنقه فقال اخي انت انا فمن انا فضرب به المثل فقالوا احمق من هبنقة اه مؤلفه

الله تعالى عنه عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حياتي خير لكم تحدثون
و يحدث لكم فاذا انا مت كانت وفاتي خيراً لكم تعرض على اعمالكم فان رايت
خيراً حمدت الله وان رايت شراً استغفرت لكم وهو حديث مرفوع وله طريق
آخر مرسل عن بكر ابن عبد الله المزني وغيره · واما عرض الاعمال على الاقارب
فاخرج الامام احمد والحكيم الترمذي في نوادر الاصول وابن منده ان رسول
الله صلى الله عليه وسلم قال ان اعمالكم تعرض على اقاربكم وعشائركم من
الاموات فان رأوا خيراً استبشروا به وان كان اي المرئي غير ذلك قالوا اللهم
لا تمتهم حتى تهديهم كما هديتنا · وفي رواية عند الطيالسي في مسنده عن جابر
ابن عبد الله وان كان غير ذلك قالوا اللهم الهمهم ان يعملوا بطاعتك · واخرج
الحكيم الترمذي في نوادره ايضاً من حديث عبد الغفور بن عبد العزيز عن ابيه
عن جده قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم تعرض الاعمال يوم الاثنين
و يوم الخميس على الله وتعرض على الانبياء وعلى الآباء والامهات يوم الجمعة
فيفرحون بحسناتهم وتزداد وجوههم بياضاً واشراقاً فاتقوا الله ولا تؤذوا موتاكم
اما عرض الاعمال على الاجانب فاخرج ابن المبارك وابن ابى الدنيا عن ابي ايوب
قال تعرض اعمالكم على الموتى فان رأوا حسناً استبشروا وان رأوا سوءاً قالوا اللهم
راجع بهم · واخرج الحكيم الترمذي وابن ابي الدنيا والبيهقي في شعب الايمان
عن النعمان ابن بشير قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول اتقوا الله
في اخوانكم من اهل القبور فان اعمالكم تعرض عليهم فهذان الحديثان عامان
في مطلق الموتى · و يدل لما قلنا من العموم ايضاً ما ذكره ابن القيم في كتاب
الروح عن ابن ابي الدنيا بسنده الى خالد بن عمرو الاموي قال حدثني صدقة
ابن سليمان الجعفري قال كانت لي شرة سمجة اي قبيحة فمات ابي فابت اي

رجعت وندمت على ما فرطت قال ثم زللت ايما زلة فرأيت ابي في المنام فقال اي بني ما كان اشد فرحي بك واعمالك تعرض علينا فنشبهها باعمال الصالحين فلما كانت هذه المرة استحييت لذلك حياء شديداً فلا تخزني فيمن حولي من الاموات قال فكنت اسمعه بعد ذلك يقول في دعائه في السحر وكان لي جاراً بالكوفة اسألك انابة لا رجعة فيها ولا حوراي ضمناً يا مصلح الصالحين و ياهادي المضلين و يا ارحم الراحمين والشرة بالكسر مصدر ضد الخير . ففي هذا الاثر دلالة على ان الموتى الاجانب يطلعون على اعمال غير الاقارب لان ابا الرائي قال له لا تخزني فيمن حولي من الاموات فلولا انهم يطلعون معه على عمل ابنه بالعرض لما قال ذلك . وفي حديث ابي ايوب لما غزا قسطنطينية المروي عند ابن ابي شيبة والترمذي وابن ابي الدنيا ان عمل العبد يعرض على معارفه من الاموات ومعارف الانسان ما يعرفونه اعم من الاقارب كما هو واضح وهذا باب واسع فيه احاديث وآثار صحيحة كثيرة مستفيضة كما قاله ابن القيم وغيره فاذا علمت هذا كله تبين لك ان سائر الموتى يعلمون باحوال اهل الدنيا اما باطلاع الله تعالى لهم من طريق كشف الغطاء والله على كل شيء قدير واما من طريق العرض كما ورد في هذه الاحاديث والآثار كما انه يظهر لك مما ورد في عرض الاعمال على الموتى انهم يدعون للاحياء و يتسببون لهم في جلب خير او دفع سوء هذا هو السنة الصحيحة الواجبة الاعتقاد ولم يعلم لهذا نكير الا من جهل هذه الاخبار واذا كان هذا في سائر الموتى فما بالك بالانبياء والشهداء والصالحين فهم يشفعون و يدعون و يتسببون و يفعل الله تعالى كرامة لاجلهم ولا مانع من ذلك شرعاً ولا عقلاً . واما تزاور الموتى وتلاقيهم وتباهيهم باكفانهم سواء كانت المدائن متقاربة او متباعدة فجمع عليه عند فقهاء المذاهب حتى ابن تيمية في

مواضع من فتاويه وادلته كثيرة جداً فانظرها ان شئت في شرح الصدور للحافظ السيوطي اوفي غيره مما يماثله

❁ تأذي الميت بما يبلغه عن الاحياء ❁

ويدل لتأذي الميت بما يبلغه عن الاحياء ما اخرجه الديلمي عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته . قال العلامة ابن عابدين في حواشي الدرر فترد للميت الحياة بقدر ما يحس بالالم والبنية ليست بشرط عند اهل السنة بل تجعل الحياة في تلك الاجزاء المتفرقة التي لا يدركها البصر . وقال القرطبي في التذكرة يجوز ان يكون الميت يبلغه من افعال الاحياء واقوالهم ما يؤذيه بلطيفة يحدثها الله تعالى لهم من ملك مبلغ وعلامة او دليل او ما شاء الله تعالى وهو القاهر فوق عباده على من يشاء . ولذلك نهى عن سوء القول في الاموات . واخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل عن سلمان قال دخلت على ام سلمة رضي الله تعالى عنها وهي تبكي فقلت ما يبكيك فقالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام يبكي وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت مالك يا رسول الله قال شهدت قتل الحسين آنفا ذكره الحافظ السيوطي في شرح الصدور والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح . وهذا يدل ايضاً على علم الموتى باحوال اهل الدنيا من غير طريق عرض الاعمال كما قاله ابن القيم في كتاب الروح وساق آثاراً كثيرة عليه ونقله الحافظ السيوطي في شرح الصدور المتقدم ذكره وابن ابي الدنيا في كتاب القبور وفي الاحياء وشرحها من ذلك كثير فانظره ان شئت . وفي شرح كبرى الامام السنوسي للعلامة الشيخ محمد عليش ما صورته لا مانع في العقل من رد الحياة الى بعض اجزاء الميت ويجعل له من العقل والفهم ما يفهم به سؤال الملكين ويجيبهما ويدركه الملكان منه وان لم

نسمع نحن شيئاً من ذلك اذا كنا معه في القبر و يجوز ان يسمع الميت سلام من يسلم عليه فكل ذلك جائز عقلاً وقد ورد السمع به فوجب اعتقاد ظاهره ولا حاجة الى تكلف تأويله فان قالوا نحن نرى من ندفنه على حاله ونعلم بالضرورة كونه ميتاً قلنا هذا يؤذن بعدم طمأنينة قائله الى الايمان بما اخبر به الصادق وهو بمثابة استبعاد الكفرة حشر العظام البالية ومن سلم اختصاص الرسل برؤية الملك دون القوم وتعاقب الملائكة فينا وقوله سبحانه وتعالى في ابليس وجنوده (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم)لا يشك في التصديق بذلك كيف والنائم يدرك احوالاً من السرور والغموم والآلام من نفسه ونحن بجواره لا نشاهد ذلك منه والقبر اول منزل من منازل الآخرة وفيه تغيير العادات وخرقها فيصح كون الميت حال مشاهدتنا له والقبر حال نظرنا اليه على غير الحالة التي نشاهدها ولم نشعر بشيء مما هنالك والامر بيد الله سبحانه وتعالى يظهر ما يشاء ويحجب ما يشاء فان لم تأمن بهذا فجدد ايمانك برسول الله صلى الله عليه وسلم ونزول الوحي عليه وكذا ما اخبر به من احوال القبر والآخرة من الامور الملكوتية التي لا تصلح لمشاهدتها هذه العين الفانية وان كنت آمنت به فكيف لا تؤمن بوقوعه ان هذا لشيء عجاب . وقد وردت اخبار بلغت حد الاستفاضة باستعاذة النبي صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر وقال القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار ولم يزل ذلك مستفيضاً بين السلف قبل ظهور البدع . وروى الشيخان عذاب القبر حق قال الامام النووي مذهب اهل السنة اثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه الادلة من الكتاب والسنة قال تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) واما الاحاديث الصحيحة الدالة على عذاب القبر ونعيمه فلا تحصى كثرة بحيث

تواتر القدر المشترك منها فنسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن آمن به وبملائكته وبكتبه ورسله ويختم لنا بخواتم السعداء ويؤمن روعنا في الدنيا والآخرة انتهى بتصرف وزيادة • ووجه دلالة الآية على عذاب القبر كما في المواقف انه قد عطف فيها عذاب القيامة على العذاب الذي هو عرض النار صباحاً ومساء فعلم انه غيره ولا شبهة في كونه قبل الانتشار من القبور كما دل عليه نظم الآية بصريحه وما هو كذلك ليس غير عذاب القبر اتفاقاً لان الآية وردت في حق الموتى فهو هو وحيث ثبت التعذيب ثبت الاحياء وسؤال الملكين واما ما ذهب اليه الصالحي من المعتزلة وابن جرير الطبري وطائفة من الكرامية من تجويز التعذيب على الموتى من غير احياء فخروج عن المعقول لان الجماد لا حس له فكيف يتصور تعذيبه وما ذهب اليه بعض المتكلمين من ان الآلام تجتمع في اجساد الموتى وتتضاعف من غير احساس بها فاذا حشروا احسوا بها دفعة واحدة فهو انكار للعذاب قبل الحشر فيبطل بما قررناه من ثبوته قبله والله الموفق اهـ

﴿ تصرف الموتى وصدور امور منهم بقدرة الله تعالى ﴾

ومما يدل على تصرف الموتى وصدور امور منهم بقدرة الله تعالى ما اخرجه ابن عساكر من طريق ابن اسحاق قال حدثني الحسين ابن عبد الله بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد قتل جعفر لقد مر بي الليلة جعفر يقتفي نفراً من الملائكة له جناحان (١) مختضبة قوادمهما بالدم يريدون بيشة بلد

---

(١) قوله له جناحان قال البيهقي ان الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية اعطيهما جعفر يقتدر بهما على الطيران لا انهما جناحان كجناحي الطائر كما قد يسبق للوهم لان الصورة الآدمية اشرف الصور ولا يضر ذلك

بالتمن · واخرج ابن عدى من حديث علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله
عليه وسلم قال عرفت جعفرا في رفقة من الملائكة يبشرون اهل بيشة بالمطر ·
واخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال بينما النبي صلى الله عليه
وسلم جالسا واسماء بنت عميس قريبا منه اذ رد السلام وقال يا اسماء هذا جعفر
مع جبريل وميكائيل مروا فسلموا علينا واخبرني انه لقي المشركين يوم كذا
ويوم كذا قال فاصبت في جسدي من مقادمي ثلاثا وسبعين من طعنة وضربة
ثم اخذت اللواء بيدي اليمنى فقطعت ثم اخذته بيدي اليسرى فقطعت فعوضني
الله من يدي جناحين اطير بهما مع جبريل وميكائيل انزل من الجنة حيث
شئت وآكل من ثمارها ما شئت قالت اسماء هنيئا لجعفر ما رزقه الله من الخير
لكني اخاف ان لا يصدقني الناس فاصعد المنبر فاخبر به الناس فصعد المنبر
فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان جعفر ابن ابي طالب مر مع جبريل وميكائيل
عوضه الله من يديه جناحين فسلم علي ثم اخبرهم بما اخبره به · واخرج ابن ابي
الدنيا من طريق يزيد ابن سعيد القرشي عن ابي عبد الله الشامي قال غزونا
الروم فخرج منا ناس يطلبون اثر العدو فانفرد منهم رجلان قال احدهما فبينما
نحن كذلك اذ لقينا شيخ من الروم فقال ابرزوا فحملنا عليه فاقتتلنا ساعة فقتل
صاحبي فرجعت اريد اصحابي فبينما انا راجع اذ قلت لنفسي ثكلتك امك
سبقني صاحبي الى الجنة وارجع هاربا الى اصحابي فرجعت اليه فضربته
فاخطأته فحملني وضرب بي الارض وجلس على صدري وتناول شيئا معه ليقتلني

وصفهما في رواية بانهما من ياقوتة وذكر كونهما مخضبين بالدم ورجح بعضهم حمل
الكلام على حقيقته وقال انهما جناحان حقيقيان واطال في ذلك والله اعلم اه
من السيرة النبوية للدحلان اه لمؤلفه

به جاء صاحبي المقتول فاخذ بشعر قفاه فالقاه عني واتاني على قتله فقتلناه جميعاً وجعل صاحبي يمشي و يحدثني حتى انتهينا الى شجرة فاضطجع مقتولاً كما كان لجئت الى اصحابي فاخبرتهم اه وقد ذكر هذا الاثر الزندوسي صاحب روضة الاخبار من الحنفية وصاحب زبدة الفقهاء ايضاً · واخرج المحاملي في اماليه انه لما مات عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه استأذن الشهداء ربهم في شهود جنازته ومر بعضهم على اهله فسلم عليهم واخبرهم بذلك · والآثار في ذلك كثيرة مسندة عند الحافظ السيوطي والعارف اليافعي وغيرهما قال اليافعي رؤية الموتى في خير او شر نوع من الكشف يظهره الله تعالى بشرى او موعظة او لمصلحة الميت من ايصال خير اليه كقضاء دين او غير ذلك وقد تكون في النوم وهو الغالب وقد تكون في اليقظة وذلك من كرامات الاولياء اصحاب الاحوال ومذهب اهل السنة ان ارواح الموتى ترد في بعض الاوقات من عليين او سجين الى اجسادهم في قبورهم عند ارادة الله تعالى وخصوصاً ليلة الجمعة و يجلسون و يتحدثون و ينعم اهل النعيم و يعذب اهل العذاب · ونقل السيوطي في شفاء الصدور عن فتاوي الحافظ ابن حجر ان ارواح المؤمنين في عليين وارواح الكفار في سجين ولكل روح بجسدها اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في حياة الدنيا بل اشبه شيء به حال النائم وان كان هو اشد حالاً من حال النائم في الاتصال قال و بهذا يجمع بين ما ورد من ان مقرها في عليين وسجين و بين ما نقله ابن عبد البر انها عند افنية القبور قال ومع ذلك فهي مأذون لها في التصرف وتأوي الى محلها من عليين او سجين واذا نقل الميت من قبر الى قبر فالاتصال المذكور مستمر وكذا لو تفرقت الاجزاء اه · وقال ابن القيم في كتاب الروح له ومما ينبغي ان يعلم ان ما ذكرناه من شأن الروح يختلف بحسب حال الارواح

باليمن · واخرج ابن عدى من حديث علي بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرفت جعفرا في رفقة من الملائكة يبشرون اهل بيشة بالمطر · واخرج الحاكم عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالسا واسماء بنت عميس قريبا منه اذ رد السلام وقال يا اسماء هذا جعفر مع جبريل وميكائيل مروا فسلموا علينا واخبرني انه لقي المشركين يوم كذا ويوم كذا قال فاصبت في جسدي من مقادمي ثلاثا وسبعين من طعنة وضربة ثم اخذت اللواء بيدي اليمنى فقطعت ثم اخذته بيدي اليسرى فقطعت فعوضني الله من يدى جناحين اطير بهما مع جبريل وميكائيل انزل من الجنة حيث شئت واكل من ثمارها ما شئت قالت اسماء هنيأ لجعفر ما رزقه الله من الخير لكني اخاف ان لا يصدقني الناس فاصعد المنبر فاخبر به الناس فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان جعفر ابن ابي طالب مرّ مع جبريل وميكائيل عوضه الله من يديه جناحين فسلم عليّ ثم اخبرهم بما اخبره به · واخرج ابن ابي الدنيا من طريق يزيد ابن سعيد القرشي عن ابي عبد الله الشامي قال غزونا الروم فخرج منا ناس يطلبون اثر العدو فانفرد منهم رجلان قال احدهما فبينما نحن كذلك اذ لقينا شيخ من الروم فقال ابرزوا فحملنا عليه فاقتتلنا ساعة فقتل صاحبي فرجعت اريد اصحابي فبينما انا راجع اذ قلت لنفسي ثكلتك امك سبقني صاحبي الى الجنة وارجع هاربا الى اصحابي فرجعت اليه فضربته فاخطأته فحملني وضرب بي الارض وجلس على صدري وتناول شيئا معه ايقتلني

وصفهما في رواية بانهما من ياقوتة ولا كونهما مخضبين بالدم ورجح بعضهم حمل الكلام على حقيقته وقال انهما جناحان حقيقيان واطال في ذلك والله اعلم اه من السيرة النبوية للدحلان اه لمؤلفه

به فجاء صاحبي المقتول فاخذ بشعر قفاه فالقاه عني واعانني على قتله فقتلناه جميعاً وجعل صاحبي يمشي و يحدثني حتى انتهينا الى شجرة فاضطجع مقتولاً كما كان فجئت الى اصحابي فاخبرتهم اه وقد ذكر هذا الاثر الزندوسي صاحب روضة الاخبار من الحنفية وصاحب زبدة الفقهاء ايضاً . واخرج المحاملي في اماليه انه لما مات عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه استأذن الشهداء ربهم في شهود جنازته ومر بعضهم على اهله فسلم عليهم واخبرهم بذلك . والآثار في ذلك كثيرة مسندة عند الحافظ السيوطي والعارف اليافعي وغيرهما قال اليافعي رؤية الموتى في خير او شر نوع من الكشف يظهره الله تعالى بشرا او موعظة او لمصلحة الميت من ايصال خير اليه كقضاء دين او غير ذلك وقد تكون في النوم وهو الغالب وقد تكون في اليقظة وذلك من كرامات الاولياء اصحاب الاحوال ومذهب اهل السنة ان ارواح الموتى ترد في بعض الاوقات من عليين او سجين الى اجسادهم في قبورهم عند ارادة الله تعالى وخصوصاً ليلة الجمعة و يجلسون و يتحدثون و ينعم اهل النعيم و يعذب اهل العذاب . ونقل السيوطي في شفاء الصدور عن فتاوي الحافظ ابن حجر ان ارواح المؤمنين في عليين وارواح الكفار في سجين ولكل روح بجسدها اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في حياة الدنيا بل اشبه شيء به حال النائم وان كان هو اشد حالاً من حال النائم في الاتصال قال و بهذا يجمع بين ما ورد من ان مقرها في عليين وسجين و بين ما نقله ابن عبد البر انها عند افنية القبور قال ومع ذلك فهي مأذون لها في التصرف وتأوي الى محلها من عليين او سجين واذا نقل الميت من قبر الى قبر فالاتصال المذكور مستمر وكذا لو تفرقت الاجزاء اه . وقال ابن القيم في كتاب الروح له ومما ينبغي ان يعلم ان ما ذكرناه من شأن الروح يختلف بحسب حال الارواح

من القوة والضعف والكبر والصغر فللروح القوية المطيحة من ذلك ما ليس لمن دونها وانت ترى احكام الارواح في الدنيا كيف تتفاوت اعظم تفاوت بحسب الارواح وكيفياتها وقواها و بطئها واسراعها والمعاونة لها فللروح المطلقة من اسر البدن وعلائقه وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود الى الله تعالى والتعلق به سبحانه ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه فاذا كانت هكذا وهي محبوسة في بدنها فكيف اذا تجردت عنه وفارقته واجتمعت فيها قواها وكانت في اصل نشأتها روحاً علية زكية كبيرة ذات همة عالية فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل اخر . وقد تواترت الرؤيا من اصناف بني آدم على فعل الارواح بعد الموت افعالاً لا يقدر على مثلها حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل جداً ونحو ذلك وكم رئي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في النوم قد هزمت ارواحهم عساكر الكفر والظلم فاذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وضعف المؤمنين وقلتهم اه و يوافق هذا القول تفسير قوله تعالى فالمدبرات امراً بارواح الكمل بعد المفارقة كما ذكره جملة من المفسرين منهم البيضاوي ووافقه عليه محشوه اي كما مر

﴿ قتال الاولياء الاحياء للكفار ﴾

اقول واما قتال الاولياء الاحياء للكفار فلا يكون الا بما جرت به العادة اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم كما صرح بذلك سيدي احمد ابن المبارك في الذهب الابريز ناقلاً عن شيخه الغوث الدباغ حيث قال وسألته رضي الله تعالى عنه ذات يوم فقلت ان اهل التصرف رضي الله تعالى عنهم لهم القدرة على اهلاك الكفرة اينما كانوا فما بالهم تركوهم مع كفرهم وعبادتهم غير الله تعالى

ومن كان بهذه الصفة فهلاكه واجب فقال رضي الله تعالى عنه وقد حول وجهه الى خلف ثم رده بقدر اولي في هذه اللحظة على اهلاك هذا البر كله ومع ذلك فاذا حضر بين معركة من المسلمين والكفار يحرم عليه ان يتصرف في الكفرة بشيء من ذلك السر وانما يقاتلهم بما جرت به عادة القتال من ضرب بسيف وطعن برمح ونحو ذلك اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم . ثم قال وانما لم يجز التصرف في الكفرة دمرهم الله تعالى بذلك السر لان صاحبه في تلك الحالة خارج في الحقيقة عن عالم البشر والتحق بعالم آخر وكما لا يجوز لعالم الملائكة مثلاً ان يتصرفوا فيهم بما تطيقه قواهم كذلك لا يجوز اصحاب السر ان يتصرف فيهم بقوته بل تجري لهم على يديه الامور التي بها بقاؤهم ودوام عيشتهم كما ان عليهم حفظة من الملائكة يدبرون امورهم منذ نشئوا الى ان ينقرضوا و بالجملة فالكفرة دمرهم الله تعالى من عالم البشر فلا يستعمل معهم في قتالهم وهلاكهم الا ما هو عادتهم في عالم البشر لا غير والله اعلم انتهى . فان قلت قد ذكر فقهاؤنا الشافعية ان الانسان لو علق الطلاق بضرب شخص فضرب به ميتاً لا يحنث وعللوه بان القصد في التعليق بالضرب الايلام والميت لا يحس بالضرب حتى يتألم به . قلت قد نظر في هذا التعليل بعضهم بانهم قد صرحوا في غير موضع بان الميت يتأذى مما يتأذى منه الحي كما نظر في الجواب عنه ايضاً بان تأذيه متعلق بالروح وما في اليمين المذكور متعلق بالجسد وهو لا يحس بان الروح تتأذى بواسطة البدن بدليل قولهم لا يغسل الميت بماء بارد لئلا يؤذيه مع ان هذا من وظائف البدن لان الاحاديث المارة ونظائرها صريحة في تأذيه واحساسه وتألمه مثل الحي وان تفرقت اجزاؤه وما خالفها لا يلتفت اليه وعندي ان الجواب الشافي عن ذلك هو ان معنى التعليل المذكور انه لا يحس بالضرب ولا يتألم به احساساً وتألماً

نشاهده بالحاسة ونطلع عليه لعدم المجانسة بيننا و بينه كما قررناه سابقاً ولذا يحكم بعدم الحنث هنا ومع ذلك فلو عللوا بان الشخص المحلوف على ضربه اسم للهيكل المركب من الجسد والروح معاً و بالموت قد فارقت الروح الجسد فلم يبق الهيكل المذكور لكان احسن فافهم ثم حيث قد علمت ثبوت ما قررناه لاهل القبور من سائر الموتى على اختلاف درجاتهم فكيف يستغرب طلب التسبب من الانبياء والاولياء والصالحين والتشفع والتوسل بهم الى ربهم لكراماتهم عليه او بدعائهم له تعالى او شفاعتهم عنده وهو وليهم في الدنيا والآخرة وهل اذا عاملهم احد معاملة الاحياء في ذلك وامثاله يلام عليه او يعاب او يؤثم او يكفر او يشرك مع اعتقاده ان الفعل لله وحده خلقاً وايجاداً لا شريك له وانه يكون من اهل القبور المقربين عند الله تعالى تسبب وكسب في ذلك لا جرم انه لا ينكر ذلك الا من جعلهم تراباً وعظاماً وترك ما يجب لهم و يسند اليهم اكراماً واعظاماً وهو الجاهل بالشرع الشريف المحمدي . فاذا جادل في تلك الاشياء بعض الاشقياء بعد اقامة هذه الادلة فاتركه وشقاءه واحمد الله تعالى الذي رزقك الايمان بما جاء عن سيد الاكوان وسلف امته وخلفهم المتبعين له باحسان . ثم قال الشيخ داود في كتابه السالف ذكره

بعض الادلة في مشروعية التوسل

(من رسالة الشيخ داود البغدادي رحمه الله)

ولنذكر لك بعض الادلة على مشروعية التوسل قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) وقال في اية اخرى (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب) فقد امر الله تعالى عباده المؤمنين بابتغاء الوسيلة وفسرها في الآية الاخرى قال البغوي في تفسيره ناسباً لابن

مواضع من فتاويه وادلته كثيرة جداً فانظرها ان شئت في شرح الصدور للحافظ السيوطي-اوفي غيره مما يماثله

تأذي الميت بما يبلغه عن الاحياء

ويدل لتأذي الميت بما يبلغه عن الاحياء ما اخرجه الديلمي عن عائشة رضي الله تعالى عنها ان النبي صلى الله عليه وسلم قال ان الميت يؤذيه في قبره ما يؤذيه في بيته ۰ قال العلامة ابن عابدين في حواشي الدراي فترد للميت الحياة بقدر ما يحس بالالم والبنية ليست بشرط عند اهل السنة بل تجعل الحياة في تلك الاجزاء المتفرقة التي لا يدركها البصر ۰ وقال القرطبي في التذكرة يجوز ان يكون الميت يبلغه من افعال الاحياء وقولهم ما يؤذيه بلطيفة يحدثها الله تعالى له من ملك مبلغ وعلامة او دليل او ماشاء الله ولذلك نهي عن سوء القول في الاموات ۰ واخرج الحاكم والبيهقي في الدلائل عن سلمان قال دخلت على ام سلمة رضي الله تعالى عنها وهي تبكي فقلت ما يبكيك قالت رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم في المنام يبكي وعلى رأسه ولحيته التراب فقلت مالك يا رسول الله قال شهدت قتل الحسين آنفاً ذكره الحافظ السيوطي في شرح الصدور والخطيب التبريزي في مشكاة المصابيح ۰ وهذا يدل ايضاً على علم الموتى باحوال اهل الدنيا من غير طريق عرض الاعمال كما قاله ابن القيم في كتاب الروح وساق آثاراً كثيرة عليه ومثله الحافظ السيوطي في شفاء الصدور المتقدم ذكره وابن ابي الدنيا في كتاب القبور وفي الاحياء وشرحها من ذلك كثير فانظره ان شئت ۰ وفي شرح كبرى الامام السنوسي للعلامة الشيخ محمد عليش ما صورته لا مانع في العقل من رد الحياة الى بعض اجزاء الميت ويجعل له من العقل والفهم ما يفهم به سؤال الملكين ويجيبهما ويدركه الملكان منه وان لم

نسمع نحن شيئاً من ذلك اذا كنا معه في القبر و يجوز ان يسمع الميت سلام من يسلم عليه فكل ذلك جائز عقلاً وقد ورد السمع به فوجب اعتقاد ظاهره ولا حاجة الى تكلف تأويله فان قالوا نحن نرى من ندفنه على حاله ونعلم بالضرورة كونه ميتاً قلنا هذا يؤذن بعدم طمأنينة قائله الى الايمان بما اخبر به الصادق وهو بمثابة استبعاد الكفرة حشر العظام البالية ومن سلم اختصاص الرسل برؤية الملك دون القوم وتعاقب الملائكة فينا وقوله سبحانه وتعالى في ابليس وجنوده (انه يراكم هو وقبيله من حيث لا ترونهم)لا يشك في التصديق بذلك كيف والنائم يدرك احوالاً من السرور والهموم والالام من نفسه ونحن بجواره لا نشاهد ذلك منه والقبر اول منزل من منازل الآخرة وفيه تتغير العادات وخرقها فيصح كون الميت حال مشاهدتنا له والقبر حال نظرنا اليه على غير الحالة التي نشاهدها ولم نشعر بشيء مما هنالك والامر بيد الله سبحانه وتعالى يظهر ما يشاء ويحجب ما يشاء فان لم تؤمن بهذا فجدد ايمانك برسول الله صلى الله عليه وسلم ونزول الوحي عليه وبكما اخبر به من احوال القبر والآخرة من الامور الملكوتية التي لا تصلح لمشاهدتها هذه العين الفانية وان كنت آمنت به فكيف لا تؤمن بقوله ان هذا الشيء عجاب . وقد وردت اخبار بلغت حد الاستفاضة باستعاذة النبي صلى الله عليه وسلم من عذاب القبر وقال القبر روضة من رياض الجنة او حفرة من حفر النار ولم يزل ذلك مستفيضاً بين السلف قبل ظهور البدع . وروى الشيخان عذاب القبر حق قال الامام النووي مذهب اهل السنة اثبات عذاب القبر وقد تظاهرت عليه الادلة من الكتاب والسنة قال تعالى (النار يعرضون عليها غدواً وعشياً ويوم تقوم الساعة ادخلوا آل فرعون اشد العذاب) واما الاحاديث الصحيحة الدالة على عذاب القبر ونعيمه فلاتحصى كثرة بحيث

تواتر القدر المشترك منها فنسأل الله تعالى ان يجعلنا ممن آمن به و بملائكته و بكتبه ورسله ويختم لنا بخواتم السعداء ويؤمن روعنا في الدنيا والآخرة انتهى بتصرف وزيادة . ووجه دلالة الآية على عذاب القبر كما في المواقف انه قد عطف فيها عذاب القيامة على العذاب الذي هو عرض النار صباحاً ومساءً فعلم انه غيره ولا شبهة في كونه قبل الانتشار من القبور كما دل عليه نظم الآية بصريحه وما هو كذلك ليس غير عذاب القبر اتفاقاً لان الآية وردت في حق الموتى فهو هو وحيث ثبت التعذيب ثبت الاحياء وسؤال الملكين واما ما ذهب اليه الصالحي من المعتزلة وابن جرير الطبري وطائفة من الكرامية من تجويز التعذيب على الموتى من غير احياء فخروج عن المعقول لان الجماد لا حس له فكيف يتصور تعذيبه وما ذهب اليه بعض المتكلمين من ان الآلام تجتمع في اجساد الموتى وتتضاعف من غير احساس بها فاذا حشروا احسوا بها دفعة واحدة فهو انكار لعذاب قبل الحشر فيبطل بما قررناه من ثبوته قبله والله الموفق اهـ

تصرف الموتى وصدور امور منهم بقدرة الله تعالى

ومما يدل على تصرف الموتى وصدور امور منهم بقدرة الله تعالى ما اخرجه ابن عساكر من طريق ابن اسحاق قال حدثني الحسين ابن عبد الله بن عباس ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال بعد قتل جعفر لقد مر بي الليلة جعفر يقتفي نفراً من الملائكة له جناحان (١) مخضبة قوادمهما بالدم يريدون بيشة بلد

(١) قوله له جناحان قال البيهقي ان الجناحين عبارة عن صفة ملكية وقوة روحانية اعطيها جعفر يقتدر بها على الطيران لا انها جناحان كجناحي الطائر كما قد يسبق للوهم لان الصورة الآدمية اشرف الصور ولا يضر ذلك

باليمن. واخرج ابن عدى من حديث على بن ابي طالب ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال عرفت جعفرا في رفقة من الملائكة يبشرون اهل بيشة بالمطر . واخرج الحاكم عن ابن عباس رضى الله تعالى عنهما قال بينما النبي صلى الله عليه وسلم جالسا واسماء بنت عميس قريبا منه اذ رد السلام وقال يا اسماء هذا جعفر مع جبريل وميكائيل مروا فسلموا علينا واخبرني انه لقى المشركين يوم كذا ويوم كذا قال فاصبت في جسدي من مقادمي ثلاثا وسبعين من طعنة وضربة ثم اخذت اللواء بيدي اليمنى فقطعت ثم اخذته بيدي اليسرى فقطعت فعوضني الله من يدى جناحين اطير بهما مع جبريل وميكائيل انزل من الجنة حيث شئت وآكل من ثمارها ما شئت قالت اسماء هنيأ لجعفر ما رزقه الله من الخير لكني اخاف ان لا يصدقني الناس فاصعد المنبر فاخبر به الناس فصعد المنبر فحمد الله واثنى عليه ثم قال ان جعفر ابن ابي طالب مر مع جبريل وميكائيل عوضه الله من يديه جناحين فسلم علىّ ثم اخبرهم بما اخبره به . واخرج ابن ابي الدنيا من طريق زيد ابن سعيد القرشي عن ابي عبد الله الشامي قال غزونا الروم فخرج منا ناس يطلبون اثر العدو فانفرد منهم رجلان قال احدهما فبينما نحن كذلك اذ لقينا شيخ من الروم فقال ابرزوا فحملنا عليه فاقتتلنا ساعة فقتل صاحبي فرجعت اريد اصحابي فبينما انا راجع اذ قلت لنفسي ثكلتك امك سبقني صاحبي الى الجنة وارجع هاربا الى اصحابي فرجعت اليه فضربته فاخطأته فحملني وضرب بي الارض وجلس على صدري وتناول شيئا معه ليقتلني

وصفهما في رواية بانهما من ياقوتة ولا كونهما مخضبين بالدم ورجح بعضهم حمل الكلام على حقيقته وقال انهما جناحان حقيقيان واطال في ذلك والله اعلم اه من السيرة النبوية للدحلان اه مؤلفه

به فجاء صاحبي المقتول فاخذ بشعر قفاه فالقاه عني واعانني على قتله فقتلناه جميعاً وجعل صاحبي يمشي و يحدثني حتى انتهينا الى شجرة فاضطجع مقتولاً كما كان فجئت الى اصحابي فاخبرتهم اه وقد ذكر هذا الاثر الزندوسي صاحب روضة الاخيار من الحنفية وصاحب زبدة الفقهاء ايضاً . واخرج المحاملي في اماليه انه لما مات عمر بن عبد العزيز رضي الله تعالى عنه استأذن الشهداء ربهم في شهود جنازته ومر بعضهم على اهله فسلم عليهم واخبرهم بذلك . والآثار في ذلك كثيرة مسندة عند الحافظ السيوطي والعارف اليافعي وغيرهما قال اليافعي رؤية الموتى في خير او شر نوع من الكشف يظهره الله تعالى بشرًا او موعظة اولمصلحة الميت من ايصال خير اليه كقضاء دين او غير ذلك وقد تكون في النوم وهو الغالب وقد تكون في اليقظة وذلك من كرامات الاولياء اصحاب الاحوال ومذهب اهل السنة ان ارواح الموتى ترد في بعض الاوقات من عليين او سجين الى اجسادهم في قبورهم عند ارادة الله تعالى وخصوصاً ليلة الجمعة و يجلسون و يتحدثون و ينعم اهل النعيم و يعذب اهل العذاب . ونقل السيوطي في شفاء الصدور عن فتاوي الحافظ ابن حجر ان ارواح المؤمنين في عليين وارواح الكفار في سجين و لكل روح بجسدها اتصال معنوي لا يشبه الاتصال في حياة الدنيا بل اشبه شيء به حال النائم وان كان هو اشد حالاً من حال النائم في الاتصال قال و بهذا يجمع بين ما ورد من ان مقرها في عليين وسجين و بين ما نقله ابن عبد البر انها عند افنية القبور قال ومع ذلك فهي مأذون لها في التصرف وتأوي الى محلها من عليين او سجين واذا نقل الميت من قبر الى قبر فالاتصال المذكور مستمر وكذا لو تفرقت الاجزاء اه . وقال ابن القيم في كتاب الروح له ومما ينبغي ان يعلم ان ما ذكرناه من شأن الروح يختلف بحسب حال الارواح

من القوة والضعف والكبر والصغر فللروح القوية العظيمة من ذلك ما ليس لمن دونها وانت ترى احكام الارواح في الدنيا كيف تتفاوت اعظم تفاوت بحسب الارواح وكيفياتها وقواها وبطئها واسراعها والمعاونة لها فللروح المطلقة من اسر البدن وعلائقه وعوائقه من التصرف والقوة والنفاذ والهمة وسرعة الصعود الى الله تعالى والتعلق به سبحانه ما ليس للروح المهينة المحبوسة في علائق البدن وعوائقه فاذا كانت هكذا وهي محبوسة في بدنها فكيف اذا تجردت عنه وفارقته واجتمعت فيها قواها وكانت في اصل نشأتها روحاً علية زكية كبيرة ذات همة عالية فهذه لها بعد مفارقة البدن شأن آخر وفعل اخر . وقد تواترت الرؤيا من اصناف بني آدم على فعل الارواح بعد الموت فعالاً لا يقدر على مثلها حال اتصالها بالبدن من هزيمة الجيوش الكثيرة بالواحد والاثنين والعدد القليل جداً ونحو ذلك وكم رئي النبي صلى الله عليه وسلم ومعه ابو بكر وعمر رضي الله تعالى عنهما في النوم قد هزمت ارواحهم عساكر الكفر والظلم فاذا بجيوشهم مغلوبة مكسورة مع كثرة عددهم وضعف المؤمنين وقلتهم اهـ و يوافق هذا القول تفسير قوله تعالى فالمدبرات امراً بارواح الكمل بعد المفارقة كما ذكره جملة من المفسرين منهم البيضاوي ووافقه عليه محشوه اي كامر

قتال الاولياء الاحياء للكفار

اقول واما قتال الاولياء الاحياء للكفار فلا يكون الا بما جرت به العادة اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم كما صرح بذلك سيدي احمد ابن المبارك في الذهب الابريز ناقلاً من شيخه الغوث الدباغ حيث قال وسألته رضي الله تعالى عنه ذات يوم فقلت ان اهل التصرف رضي الله تعالى عنهم لهم القدرة على اهلاك الكفرة اينما كانوا فما بالهم تركوهم مع كفرهم وعبادتهم غير الله تعالى

ومن كان بهذه الصفة فهلاكه واجب فقال رضي الله تعالى عنه وقد حول وجهه الى خلف ثم رده يقدر الولي في هذه اللحظة على اهلاك هذا البر كله ومع ذلك فاذا حضر بين معركة من المسلمين والكفار يحرم عليه ان يتصرف في الكفرة بشيء من ذلك السر وانما يقاتلهم بما جرت به عادة القتال من ضرب بسيف وطعن برمح ونحو ذلك اقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم ثم قال وانما لم يجز التصرف في الكفرة دمرهم الله تعالى بذلك السر لان صاحبه في تلك الحالة خارج في الحقيقة عن عالم البشر وملتحق بعالم آخر وكما لا يجوز لعالم الملائكة مثلاً ان يتصرفوا فيهم بما تطيقه قواهم كذلك لا يجوز لصاحب السر ان يتصرف فيهم بقوته بل تجري لهم على يديه الامور التي بها بقاؤهم ودوام عيشتهم كما ان عليهم حفظة من الملائكة يدبرون امورهم منذ نشؤا الى ان ينقرضوا و بالجملة فالكفرة دمرهم الله تعالى من عالم البشر فلا يستعمل معهم في قتالهم وهلاكهم الا ما هو عادتهم في عالم البشر لا غير والله اعلم انتهى ٠ فان قلت قد ذكر فقهاؤنا الشافعية ان الانسان لو علق الطلاق بضرب شخص فضربه ميتاً لا يحنث وعللوه بان القصد في التعليق بالضرب الايلام والميت لا يحس بالضرب حتى يتألم به ٠ قلت قد نظر في هذا التعليل بعضهم بانهم قد صرحوا في غير موضع بان الميت يتأذى مما يتأذى منه الحي كما نظر في الجواب عنه ايضاً بان تأذيه متعلق بالروح وما في اليمين المذكور متعلق بالجسد وهو لا يحس بان الروح تتأذى بواسطة البدن بدليل قولهم لا يغسل الميت بماء بارد لئلا يؤذيه مع ان هذا من وظائف البدن لان الاحاديث المارة ونظائرها صريحة في تأذيه واحساسه وتألمه مثل الحي وان تفرقت اجزاؤه وما خالفها لا يلتفت اليه وعندي ان الجواب الشافي عن ذلك هو ان معنى التعليل المذكور انه لا يحس بالضرب ولا يتألم به احساساً وتألماً

نشاهده بالحاسة وتطلع عليه لعدم المجانسة بيننا و بينه كما قررناه سابقاً ولذا يحكم بعدم الحنث هنا ومع ذلك فلو عللوا بان الشخص المحلوف على ضربه اسم للهيكل المركب من الجسد والروح معاً و بالموت قد فارقت الروح الجسد فلم يبق الهيكل المذكور لكان احسن فافهم ثم حيث قد علمت ثبوت ما قررناه لاهل القبور من سائر الموتى على اختلاف درجاتهم فكيف يستغرب طلب التسبب من الانبياء والاولياء والصالحين والتشفع والتوسل بهم الى ربهم لكراماتهم عليه او بدعائهم له تعالى او شفاعتهم عنده وهو وليهم في الدنيا والآخرة وهل اذا عاملهم احد معاملة الاحياء في ذلك وامثاله يلام عليه او يعاب او يؤثم او يكفر او يشرك مع اعتقاده ان الفعل لله وحده خلقاً وايجاداً لا شريك له وانه يكون من اهل القبور المقربين عند الله تعالى تسبب وكسب في ذلك لا جرم انه لا ينكر ذلك الا من جعلهم تراباً وعظاماً وترك ما يجب لهم و يسند اليهم اكراماً واعظاماً وهو الجاهل بالشرع الشريف المحمدي . فاذا جادل في تلك الاشياء بعض الاشقياء بعد اقامة هذه الادلة فاتركه وشقاءه واحمد الله تعالى الذي رزقك الايمان بما جاء عن سيد الاكوان وسلف امته وخلفهم المتبعين له باحسان . ثم قال الشيخ داود في كتابه السالف ذكره

بعض الادلة في مشروعية التوسل

(من رسالة الشيخ داود البغدادي رحمه الله)

ولنذكر لك بعض الادلة على مشروعية التوسل قال الله تعالى (يا ايها الذين آمنوا اتقوا الله وابتغوا اليه الوسيلة) وقال في اية اخرى (اولئك الذين يدعون يبتغون الى ربهم الوسيلة ايهم اقرب) فقد امر الله تعالى عباده المؤمنين بابتغاء الوسيلة وفسرها في الآية الاخرى قال البغوي في تفسيره ناسباً لابن

عباس رضي الله تعالى عنهما وتبعه الخازن معناه ينظرون ايهم اقرب الى الله تعالى فيتوسلون به اليه انتهى اي سواء كان التوسل بدعائه فقط كما يقوله الخوارج أو به او بشفاعته او بجاهه او بكرامته او بمحبته او بذاته او بالطاعات والاعمال الصالحات كما يقول اهل السنة بجميع ذلك فان لفظ الوسيلة في الآية عام يشمل ذلك كله بل سياق الامر بالتقوى قبل الامر بالوسيلة في الآية يقتضي تخصيص الوسيلة فيها بالذوات لانه قد تقرر ان معنى التقوى فعل الطاعات واجتناب المنهيات فاذا كان معنى الوسيلة في الآية فعل الطاعات لزم فيها التكرار وتعين لمنعه ان يكون معنى الوسيلة امراً آخر غير فعل الطاعات وليس الا الذوات الفاضلة كما اقتصر عليه البغوي في تفسيره ويدل لتفسيرها بذلك في هذه الآية احاديث كثيرة صحيحة لا جواب للخصم عنها مر بعضها و يأتي شيء منها وقد سرد معظمها الشيخ داود المذكور في كتابه صلح الاخوان فانظره ان شئت ولا يصدنك عن الانتفاع بما فيه تشنيع نعمان الالوسي السابق ذكره عليه في جلائه فانه ليس الا حمية منه على ابيه الملا محمود صاحب التفسير السابق الكلام فيه فان الشيخ داود المذكور قد رد عليه بعض معتقداته بطريق النصح له فهذا هو السبب لا غير كما نبه على ذلك العلامة الشيخ عبد الوهاب حبيب البغدادي في كتابه المسمى بالصراط المستقيم فارجع اليه ان شئت ترى العجب وحينئذ فمن منع التوسل الى الله تعالى بالذوات الفاضلة فقد تحكم وافترى فان التوسل بها قد صرحت به الادلة كما صرحت ايضاً بان مجرد وجود الذوات المذكورة مانع من وقوع العذاب والهلاك . قال الله تعالى وما كان الله ليعذبهم وانت فيهم ذكر المفسرون والبخاري رحمهم الله تعالى ان الكفار استعجلوا العذاب فنزلت الآية دالة على ان حلول ذات النبي صلى الله عليه وسلم مانعة

من نزول العذاب على الكفار ولا يمكن للخصم ان يقول ان النبي صلى الله عليه وسلم نفعهم بجاهه او بدعائه او بشفاعته مثلاً لان هذه الاشياء لا تكون للكفار لحرمانهم منها بالكفر قطعاً وقال بعض السلف في قوله تعالى (وما كان الله معذبهم وهم يستغفرون) ان معناه ما كان الله معذبهم وفي اصلابهم من يستغفر يعني من قدر الله ان يخرج من صلب الكافر و يستغفر وهو المكتوب انه يؤمن بالله تعالى بعد خروجه من صلب الكافر فجعل الله بفضله وجود النطف المؤمنة في اصلاب الكفار اسباباً لدفع العذاب عنهم فكيف بالذوات الفاضلة · وقال تعالى (ولولا دفع الله الناس بعضهم ببعض لفسدت الارض) · نقل صاحب السراج المنير عن السلف الصالح ان المعنى لولا ان يدفع الله بالمؤمن عن الكافر و بالطائع عن العاصي لهلكت الارض بمن فيها فوجود ذوات هؤلاء مانعة من وجود الفساد اي الهلاك · وروى ابن عمر رضي الله تعالى عنهما مرفوعاً ان الله عز وجل ليدفع بالمؤمن الصالح عن مائة اهل بيت من جيرانه البلاء ثم قرأ الآية وعن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما انه قال يدافع الله بمن يصلي عمن لا يصلي و بمن يحج عمن لا يحج و بمن يزكي عمن لا يزكي · وعن جابر بن عبدالله رضي الله عنه قال ان الله ليصلح بصلاح الرجل المسلم ولده وولد ولده واهل دويرته ودويرات حوله ولا يزالون في حفظ الله ما دام فيهم اه · واذا كان الله تعالى قد جعل بعض الجمادات اسباباً لجلب المنافع ودفع المضار مع انه لا يعقل لها جاه ولا دعاء ولا شفاعة كما ثبت بمقتضى حديث ماء زمزم لما شرب له وحديث بتربة ارضنا وريقة بعضنا يشفى باذن ربنا مريضنا فكيف لا تكون الذوات الفاضلة ولا سيما ذات نبينا صلى الله عليه وسلم وسيلة الى الله تعالى في حصول ذلك · على انا لو طالبنا منكر اعتبار الذات بدليل واحد ولو ضعيفاً لم يجد الى

ذلك سبيلاً فليته اذ جهل استحى من الله ورسوله ولم يتفوه بمنع التوسل بذاته
صلى الله عليه وسلم بل يا ليته اقتصر على ذلك ولم يجعل ذات نبينا في التوسل
بها كاللات و يزعم ان تلك الضلالات كالات مع انه يلزم على قول ذلك المنكر
ان النبي صلى الله عليه وسلم واصحابه هم الذين فعلوا وامروا بمشابهة الاصنام
والعياذ بالله تعالى من لازم قوله الناشيء عن سوء عقيدته وفعله · وثبت ايضاً
في الصحيحين عن ابن عباس رضي الله تعالى عنهما ان النبي صلى الله عليه وسلم
مر على قبرين فقال انهما يعذبان ثم دعى بعسيب اي جريدة النخل فشقه نصفين
وجعل على كل قبر نصفاً وقال لعله يخفف عنهما ما لم ييبسا اه · فقد شرع النبي
صلى الله عليه وسلم بذلك لامته جعل جريدة رطبة على الذي يخاف عليه
العذاب لان للجريد خاصية ان الله تعالى يخفف بسببه العذاب عن الميت وليس
هذا خاصاً بالنبي صلى الله عليه وسلم حتى يقال ان ارتفاع العذاب بسبب
وضعه صلى الله عليه وسلم بيده الشريفة لان الاصل في افعاله صلى الله عليه
وسلم التأسي الا ما دل دليل على الخصوصية ولا دليل عليها هنا فلذا اجمع العلماء
من كل مذهب على العمل به في كل عصر بلا نكير · وقد ذكر الامام البخاري
في صحيحه ان بريدة ابن الحصيب رضي الله تعالى عنه اوصى بان يجعل في قبره
جريدتان · فهل يجوز التسبب بجريد النخل وهو ذات بلا شك ولا يعقل له
جاه ولا يجوز التسبب بذات سيد الوجود صلى الله عليه وسلم فاي عقل لمن يمنع
ذلك و يدخل نفسه الغبية في مضايق هذه المسالك · وثبت ايضاً ان مالك بن
سنان رضي الله تعالى عنه لما شرب دمه صلى الله عليه وسلم قال له النبي صلى
الله عليه وسلم لن تصيبك النار ولما شرب عبد الله بن الزبير رضي الله تعالى

عنهما دم حجامته صلى الله عليه وسلم قال له و يل (١) لك من الناس وو يل لهم منك ولم ينكر فعلها · وقد روى مثل هذا عنه صلى الله عليه وسلم في المرأة التي شربت بوله صلى الله عليه وسلم وهي بركة الحبشية فقال لها لن تشتكي وجع البطن ابداً فكان كذلك · افهل يكون الدم والبول الخارجان من ذاته الشريفة سببين لدفع النار والوجع عن شاربيهما و يمتنع عن ذاته صلى الله عليه وسلم ان يتسبب و يتوسل بها الى الله تعالى وهو من نور الله سبحانه كما في حديث جابر المشهور مع ان ما يحصل بسبب التوسل والتسبب والتشفع بالانبياء والاولياء فانما هو من طريق الكرامة التي هي من واجب الاعتقاد على العباد لانها قد اجمع عليها المسلمون واصلها في كتاب الله تعالى باتفاق كاحضار عرش بلقيس ورزق مريم وهي بعد الموت اقوى وادل على صدق من ذكروا وحقية دينهم وذلك ان النبي الحي او الولي الحي قد يظن العدو الكافر او المنافق ان المعجزة والكرامة من تعملهم وتحيلهم واما بعد الانتقال الى دار البقاء فلم تبق هذه الشبهة بوجه من الوجوه لعلم ذوي العقول ان وجود الامر الخارق للعادة حينئذ من محض خلق الله تعالى وقدرته اجراه تعالى على يد نبيه او وليه اكراماً له

﴿ قول صاحب بدء الامالي كرامات الولي بدار دنيا ﴾

واما قول صاحب بدء الامالي وهو الاوشي بضم الهمزة وسكون الواو و بالشين المعجمة نسبة الى اوش قرية من قرى فرغانة

كرامات الولي بدار دنيا (٢) لها كون فهم اهل النوال

فليس مما يتعلق به ذو فهم لان مقصوده ان كرامات الاولياء ظهورها

---

(١) قوله و يل لك الخ هي هنا للقسر لا للدعاء كما نص عليه الائمة اه لمؤلفه

(٢) قوله بدار دنيا في حقيقة الدنيا عند المتكلمين قولان احدها هو ما

ووجودها يكون بدار دنيا وذلك صحيح لان مواطن الآخرة كلها محل كرامة كل مؤمن كما نص عليه غير واحد من الشراح كالبرازي والنوبي والجلال البخاري والسيد السمهودي فلم تكن محل خلاف بيننا و بين المعتزلة خذلهم الله تعالى لانهم ينكرون وجود الكرامة في الدنيا كما مر بدعوى انها تشبه المعجزة من جهة خرق العادة فيشتبه الولي بالنبي عندهم لخسافة عقولهم واما نحن اهل السنة والجماعة فنثبتها في دار الدنيا ونمنع الاشتباه المذكور بان المعجزة انما تكون من النبي بعد دعواه النبوة والولي لا يدعيها بل لو ادعاها لخرج عن الولاية وصار زنديقاً ٠ فقول الاوشي المذكور بدار دنيا متعلق بقوله كن فيكون المعنى كرامات الولي لها كون بدار دنيا ثم فرع على ذلك قوله فهم اهل النوال يعني اهل انعطاء لمن يشاء لهم و يطلب منهم تشفعاً وامداداً ٠ وعديم الفهم ظن ان بدار دنيا حالاً من الولي اي كرامات الولي حال كونه بدار دنيا لها كون اي وجود فادعى ان الولي اذا انتقل الى الدار البرزخية لا يكون بدار دنيا فلا يكون له كرامة وهذا خطأ فاحش فان العلماء الكمل كالبخاري الحنفي والنوبي والتونسي والسمهودي في شرح النظم المذكور والشيخ احمد محشي الاشباه في رسالة له قد ذكروا ما ذكرته وقالوا بناء على فهم من فهم خلافه ان الولي ما دام لم يصل الى الآخرة وهي ما بعد البعث من القبور للقيام فهو بدار دنيا فتكون كراماته موجودة بعد الموت ايضاً وانه يصدق قوله بدار دنيا بحياته و بعد موته الى البعث المذكور لان الدنيا عبارة عن كل المخلوقات من الجواهر والاعراض الموجودة قبل الدار الآخرة ولا شك ان البرزخ من المخلوقات الموجودة قبل الدار الآخرة فالمراد

على وجه الارض من الجو والهواء واظهرها كل المخلوقات من الجواهر والاعراض والاعيان الموجودة قبل دار الآخرة اه لمؤلفه

بالدنيا في كلامه ما قابل الآخرة وهي ما بعد البعث من القبور لا ما قبله حتى تشمل ما بعد الموت الى البعث وان احتمله الكلام احتمالاً غير مؤيد بدليل ومن ثم نقل ابن القيم عن ابي يعلي ان عذاب القبر من الدنيا لانقطاعه قبل البعث بالفناء ولا يعرف امد ذلك وايده الجلال السيوطي في شرح الصدور و يؤيده ما اخرجه هناد في الزهد عن مجاهد قال للكفار هجعة يجدون فيها طعم النوم حتى يوم القيامة فاذا صيح باهل القبور يقول الكافر يا و يلنا من بعثنا من مرقدنا فيقول المؤمن الى جنبه هذا ما وعد الرحمن وصدق المرسلون وفي المواهب اللدنية باسناد صحيح الى عكرمة مولي ابن عباس انه سئل عن يوم القيامة اهو من الدنيا ام من الآخرة فاجاب بان نصفه الاول الذي يقع فيه الفصل والحساب من الدنيا ونصفه الآخر الذي يقع فيه الانصراف الى الجنة والنار من الآخرة اه فاذا كان يوم القيامة بعد فناء البرزخ وما يتعلق به حكم في نصفه الاول من الدنيا فبالاولى ان يحكم على البرزخ بانه من الدنيا حقيقة فعلى هــذا يؤخذ جواز وقوع الكرامة للاولياء بعد موتهم من قوله بدار دنيا ومن ثم لم يتعرض احد فيما رأيته من شروح النظم مع كثرتها الى التصريح بانقطاع الكرامات بعد الموت بل قال شارحه الجلال البخاري الحنفي التقييد بدار دنيا لان الخلاف بين اهل السنة والمعتزلة واقع فيها لان دار العقبى محل كرامة جميع المؤمنين وقال شارحه السمهودي ينبغي ان يكون ظهور الكرامات لهم بعد موتهم اولى من ظهورها حال حياتهم لان النفس باقية صافية من الاكدار والمحن وغــيرها وقد شوهد ذلك من كثير منهم بعد موتهم وقد يدخل ذلك في كلام الناظم فان قوله بدار دنيا صادق بحياته و بعد موته اه . وذكر البرماوي في رسالته الدلائل الواضحات في اثبات الكرامات في الحياة و بعد الممات ان ممن نص على ثبوتها في الحياة و بعد

الموت شيخ الاسلام ابن الشحنة الحنفي والشيخ عبدالباقي المقدسي الحنفي في كتابه السيوف الصقال والشيخ احمد القنيمي الحنفي وكذا الشيخ محمد ابن عبد اللطيف الاحسائي في رسالته السيوف المصقلات وغيرهم . وحينئذ ظهر ان قوله بدار دنيا ليس بنص ولا ظاهر في انقطاع كرامات الولي بموته واختصاصها بحال حياته فقط كما قد يتوهم وهذا كله لارخاء العنان والا فالواقع من كرامات الاولياء بعد موتهم شيء كثير لا يحصي وقد اجمع على ذلك المسلمون فلننقل لك ما هو ثابت في هذا الباب بالسنة الصريحة والآثار الصحيحة ليتضح لك كذب المفترين .

ثبوت كرامات الاولياء بعد الموت

(من رسالة الشيخ داود وغيرها)

فمن ذلك ما في صحيح الامام البخاري من ان عاصما الصحابي رضي الله تعالى عنه كان عاهد الله تعالى ان لا يمس مشركاً ولا يمسه مشرك فلما قتله الكفار ارادوا ان يأخذوا لثته ليمثلوا به فساط الله عليهم الزنابير الكبار فما قدروا على الوصول اليه ولا شك في ان هذا كرامة من الله تعالى لهذا الولي بعد موته . ومنه ما في صحيح البخاري ايضاً من حديث خبيب رضي الله تعالى عنه وذلك انه لما صلبه الكفار بعد قتله وذهب اليه بعض اصحابه ليلاً فقطع حبل صلبه فسقط ولم يعلم ابن ذهب . ومنه ما في صحيح البخاري ايضاً من تغسيل الملائكة لحنظلة رضي الله تعالى عنه الذي استشهد وهو جنب . ومنه ما في مشكاة المصابيح عن عائشة رضي الله تعالى عنها قالت لما مات النجاشي كنا نتحدث انه لا يزال يرى على قبره نور رواه ابو داود والمعنى ان هذا الامر مشهور فيما بيننا ومذكور عمن رأى نور قبره في الحبشة منا ولا يتصور اتفاقنا على الكذب فهو كاد ان يكون متواتراً كما قاله ملا علي قاري في شرحها . ونقدم لك حديث

ذهاب جعفر بن ابي طالب بعد قتله لاهل بيشة يبشرهم بالمطر . ومن ذلك ايضاً تكلم رأس الحسين رضي الله تعالى عنه بعد قتله وذلك ان قارئاً كان يقرأ امام الراس الشريف سورة الكهف فلما بلغ قوله تعالى ام حسبت ان اصحاب الكهف والرقيم كانوا من آياتنا عجبا قال الراس قتلي وحملي اعجب من اهل الكهف . ومنه ايضاً ما وقع من نصر الخزاعي رضي الله تعالى عنه بعد قتله وذلك انه لما صلبه المأمون امر رجل بيده رمح يحرفه من القبلة فكان اذا جن الليل استدار الى القبلة قال الراوي فسمعته يقول الم احسب الناس ان يتركوا ان يقولوا آمنا وهم لا يفتنون قال فاقشعر جلدي الى آخر الحديث . وتقدم لك الحديث الذي فيه ان صاحب القبر قرأ سورة الملك حتى ختمها وكل هذه اخبار صحيحة و بقيت آثار اخر كثيرة خرجها ائمة الحديث تشهد بذلك تركناها خوف الاطالة . و بالجملة فهذا الباب واسع وللسلف فيه مؤلفات ككتاب ابن ابي الدنيا فيمن عاش بعد الموت و كتابه في كرامات الاولياء وكتاب القبور وكتاب حلية الاولياء لابي نعيم وصفوة الصفوة لابن الجزري وعيون الحكايات له وغير ذلك . وممن ذكر كرامات الاولياء بعد الموت ابن تيمية نفسه وتلميذه ابن القيم . وقد بان بما تقرر آنفاً ان من احتج ببيت الاوشي المتقدم على انقطاع كرامات الاولياء بالموت حتى نسب الى مذهب الامام ابي حنيفة اصولاً وفروعاً القول بانقطاع الكرامات بعد الموت غير مصيب بل لم يثبت ذلك في شيء من كتب المذاهب الثلاثة ومن ادعى ذلك فعليه البيان وعند الامتحان يكرم المرء او يهان . ثم ان مطالعة كتب الصوفية تحصل العلم بوقوعها ضرورة ولقد رأينا من كراماتهم احياء وامواتاً ما يوجب ذلك فلا ينكرها الا مخذول فاسد الاعتقاد في اولياء الله تعالى وخواص عباده نفعنا الله تعالى بهم كذا ذكره

العلامة السيد الحموي في رسالته المسماة بنفحات القرب والاتصال باثبات التصرف لاولياء الله تعالى والكرامات بعد الانتقال وان اردت المزيد على ما اسلفناه فعليك بمطالعتها والتنزه في رياضها والله الهادي . ورأيت في شرح السواد الاعظم المنسوب للامام ابي حنيفة المقدم رضى الله تعالى عنه عبارة في غاية الحسن واللطافة يناسب ذكرها هنا ونصها . الثانية والثلاثون ما قلنا انه ينبغي ان يقر بكرامة الاولياء لان من انكر كرامات الاولياء فهو مبتدع ومن انكرها وهو يظن ان ذلك هدم لمعجزات الانبياء فهذا لا يخرج عن احد ثلاثة احوال . اما ينكر الايات التي في كتاب الله تعالى فمن انكر الآيات فقد كفر . وان لم ينكر الآيات وآمن بها ولكن يقول كانوا انبياء فقد كفر . وان لم ينكر الآيات ولم يقل كانوا انبياء فقد صح عنده ان هذه كرامة الاولياء كانت لغير الانبياء ويجوز ذلك لان الله تعالى قال (قال الذي عنده علم من الكتاب انا آتيك به قبل ان يرتد اليك طرفك) وكان آصف بن برخيا من الاولياء ولم يكن نبياً وكان من امة سليمان بن داود فلم جاز ان يكون من امة سليمان من له كرامة الاولياء وليس يجوز في امة محمد صلى الله عليه وسلم كرامة الاولياء ومحمد افضل من سليمان وامته افضل من امته . فان قال المخالف تلك الكرامة كانت من قبل سليمان نقول وهذه الكرامة كانت من قبل محمد صلى الله عليه وسلم وقوله تعالى (وهزي اليك بجذع النخلة تساقط عليك رطباً جنيا) فاخرج الله تعالى من الشجرة ثمرة لاجل مريم اكراماً لها بذلك ومريم لم تكن نبية وقوله تعالى (كلما دخل عليها زكريا المحراب وجد عندها رزقاً قال يا مريم اني لك هذا قالت هو من عند الله) وكذلك قصة اصحاب الكهف فهي كرامة عظيمة اكرمهم الله تعالى بها ولم يكونوا انبياء فلم جاز في الاولين كرامة الاولياء ولا يجوز في امة محمد

كرامة الاولياء وقد قال تعالى (كنتم خير امة اخرجت للناس) . فان قال المخالف
ان فلاناً يذهب في ليلة واحدة الى بيت الله و يرجع هذا لا يكون ابداً قيل
كأنك تقول لم تكن للنبي صلى الله عليه وسلم كرامة يكرم بها احد فانه صلى
الله عليه وسلم اسرى به وعرج به الى السموات السبع و بلغ ما شاء الله ثم رجع
فهل يكون كرامة اعظم من هذه وايضاً يقال للمخالف المؤمن خير ام الكافر
فانا وجدنا من يسير من الكفار في ساعة واحدة من المشرق الى المغرب وهو ابليس
لعنه الله وهو كافر فكيف لا يكون ذلك كرامة للاولياء فتأمل وانصف وفي
هذا القدر كفاية انتهت العبارة وهذا آخر ما قصدناه من المنحة الوهبية لرد
الوهابية . وانما اطلت الكلام في هذا الباب ليتضح الامر لمن كان متشككاً
فيه غاية الاتضاح اذ كثير من المنكرين للتوسل والاستغاثة واسناد التأثير الى
الاسباب يلقون الى كثير من الناس شبهات يستميلونهم بها الى معتقدهم الباطل
الذي خرجوا به عن جماعة المسلمين وجعلوهم كالمشركين الكافرين فعسى ان
يقف على هذه النصوص من اراد الله تعالى حفظه من قبول شبهاتهم فلا يلتفت
اليها و يقيم عليهم الحجة في ابطالها فان المنع من التوسل بالكلية مصادم للاحاديث
الصحيحة النبوية ولفعل السلف والخلف و بالجملة فهذه المسألة كادت ان تكون
اجماعية الجواز . فعليك يا اخي باتباع الجمهور والسواد الاعظم من المسلمين كما
امر الله ورسوله بذلك والا كنت مشاققاً لهما ومتبعاً غير سبيل المؤمنين وقد قال
تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ما تبين له الهدى و يتبع غير سبيل المؤمنين
نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيرا) وقال سبحانه ايضاً (ومن يشاق الله فان
الله شديد العقاب) وقال رسول الله صلى الله عليه وسلم عليكم بالسواد الاعظم
فانما يأكل الذئب من الغنم القاصية وقال صلى الله عليه وسلم ايضاً من فارق

الجماعة قيد شبر فقد خلع ربقة الاسلام من عنقه

﴿ التحذير من مفارقة السواد الاعظم من المسلمين ﴾

وقد ذكر العلامة ابن الجوزي في كتابه تلبيس ابليس احاديث كثيرة في التحذير من مفارقة السواد الاعظم منها حديث عبد الله بن عمر عن ابيه رضي الله تعالى عنهما عن النبي صلى الله عليه وسلم انه خطب في الجابية فقال من اراد بحبوحة الجنة فليلزم (١) الجماعة فان الشيطان مع الواحد وهو من الاثنين ابعد ٠ وحديث عرفجة رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة والشيطان مع من يخالف الجماعة وحديث اسامة بن شريك رضي الله تعالى عنه قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول يد الله على الجماعة فاذا شذ الشاذ منهم اختطفته الشياطين كما يختطف الذئب الشاة من الغنم ٠ وحديث معاذ بن جبل رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال ان الشيطان ذئب الانسان كذئب الغنم يأخذ الشاة الشاذة القاصية والناثية فاياكم والشعاب وعليكم بالجماعة العامة والمسجد ٠ وحديث ابي ذر رضي الله تعالى عنه عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اثنان خير من واحد وثلاثة خير من اثنين واربعة خير من ثلاثة فعليكم بالجماعة فان الله تعالى لن يجمع امتي الا على هدى ٠ فهؤلاء المنكرون للتوسل والزيارة فارقوا الجماعة والسواد الاعظم وعمدوا الى آيات كثيرة من القرآن الشريف نزلت في المشركين فجعلوها على المؤمنين الذين تقع منهم

---

(١) قوله فليلزم الجماعة اي لانه لا يمكن فيهم كافة غفلة عن معنى كتاب او سنة او قياس بخلاف الفرقة كما قاله الشافعي ٠ وعمر بن الخطاب رضي الله تعالى عنه كما في رسالة الامام الشافعي وغيرها فابن الجوزي اختصر الحديث بما ترى اه مؤلفه

الزيارة والتوسل وتوصلوا بذلك الى تكفير اكثر الامة من العلماء والعباد والصلحاء والزهاد وعوام الخلق واستحلوا دماءهم واموالهم وقالوا انهم مثل اولئك المشركين الذين قالوا (ما نعبدهم الا ليقربونا الى الله زلفى) وقد قدمنا لك غير مرة ان المشركين ما كفروا الا باعتقادهم الوهية غير الله تعالى اواستحقاق غيره العبادة وتعظيمه كتعظيم الرب سبحانه وتعالى واما المؤمنون فلم يعتقد احد منهم الوهية غير الله تعالى ولا استحقاقه للعبادة ولم يعظمه مثل تعظيمه تعالى فكيف يسوغ لهؤلاء الاوباش ان يجعلوهم مثل اولئك المشركين سبحانك هذا بهتان عظيم . وفي الحديث الصحيح من قال لاخيه المسلم يا كافر فقد باء بها احدهما ان كان كما قال والا رجعت عليه وقال الله تعالى (ولا تقولوا لمن القى اليكم السلام لست مؤمناً تبتغون عرض الحياة الدنيا) نزلت في كافر اصلي كانت نيته الاسلام فهاجر من محله الى المدينة يريد ان يسلم على يد رسول الله صلى الله عليه وسلم فاجتمع في الطريق ببعض الصحابة وسلم عليهم فظنوا انه قالها خوفاً منهم فعمدوا الى غنيمات كانت معه فاخذوها وقتلوه فنزلت الآية وغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم على فاعل ذلك اشد الغضب حتى تمنوا ان لم يسلموا الا بعد هذه الواقعة ليكفر الاسلام هذا الذنب العظيم فاذا كان هذا في رجل كافر كان قصده الاسلام ولم يتلفظ بالشهادتين بل بمجرد السلام الذي هو تحية المسلمين فكيف بمن يتجاسر على خيار الامة المحمدية و يكفرهم بالتوسل بالانبياء والصالحين يشبه كيت العنكبوت الا يظن أولئك انهم مبعوثون ليوم عظيم . وقال العلماء رحمهم الله تعالى ترك قتل الف كافر أولى من اراقة دم امرىء مسلم فيجب الاحتياط في ذلك فلا يحكم على احد من اهل القبلة بالكفر والخروج من الملة الاسلامية المحمدية الا بأمر واضح قاطع للاسلام كما قدمناه لك وقد اسس في الكتب الفقهية المعتبرة

انه اذا كان في المسألة وجوه توجب التكفير ووجه لا يوجبه فعلى (١) المفتي ان يميل الى الوجه الذي يمنعه تحسيناً للظن بالمسلم وكذا اذا كان فيها قولان او روايتان فعليه ان يميل الى ما به الخروج عن التكفير منها ولو رواية ضعيفة كما في البحر لابن نجيم او في مذهب الغير كما قاله خير الدين الرملي والسيد احمد الحموي في حواشي الاشباه فعلى هذا لا ينبغي الافتاء بردة من تكلم بكلمة الكفر جاهلاً فانها مختلف (٢) فيها فالعامة على التكفير وانه لا يعذر بالجهل وقال بعضهم لا يكفر و يعذر بالجهل كما في الخلاصة وشرح البزازي على اللامية وفي خزانة الاكمل . روى ان امرأة في زمن محمد بن الحسن قيل لها ان الله يعذب اليهود والنصارى يوم القيامة قالت لا يفعل الله بهم ذلك فانهم عباده فسئل محمد بن الحسن عن ذلك فقال ما كفرت فانها جاهلة فعلموها فعلموها حتى تعلمت اه والقاعدة المقررة ان اليقين لا يزول بالشك قال في جامع الفصولين . روى الطحاوي عن اصحابنا لا يخرج الرجل من الايمان الا جحود ما ادخله فيه ثم ما تيقن انه ردة يحكم بها وما يشك انه ردة لا يحكم بها اذ الاسلام الثابت لا يزول بالشك اه . وقال العلامة السيد احمد دحلان شيخ الاسلام بمكة المشرفة في درره السالف ذكرها ورأيت رسالة للشيخ محمد بن سليمان الكردي المدني صاحب الحواشي المدنية في فقه السادة الشافعية قال في تلك الرسالة يخاطب محمد ابن عبد الوهاب حين قام بالدعوة وكان من تلامذة الشيخ المذكور كما مر

---

(١) قوله فعلى المفتي ان يميل الخ محله اذا لم يصرح بانه اراد الوجه الآخر كما ذكره في الفتاوي البزازية اه

(٢) قوله فانها مختلف فيها محل الخلاف في غير ما كان معلوماً من الدين بالضرورة اما هو فلا يعذر بالجهل فيه اتفاقاً اه اؤلفه

يا ابن عبد الوهاب سلام على من اتبع الهدى فاني انصحك لله تعالى ان تكف لسانك عن المسلمين فان سمعت من شخص انه يعتقد تأثير ذلك المستغاث به من دون الله تعالى فعرفه الصواب واذكر له الادلة على انه لا تأثير لغير الله تعالى فان ابى فكفره حينئذ بخصوصه ولا سبيل الى تكفير السواد الاعظم من المسلمين وانت شاذ عن السواد الاعظم فنسبة الكفر الى من شذ عن السواد الاعظم اقرب لانه اتبع غير سبيل المؤمنين قال تعالى (ومن يشاقق الرسول من بعد ماتبين له الهدى ويتبع غير سبيل المؤمنين نوله ما تولى ونصله جهنم وساءت مصيراً)وانما يأكل الذئب من الغنم القاصية · انتهى الجزء الاول

ويليه الجزء الثاني اوله الباب السادس في جواز طلب الشفاعة من النبي صلى الله عليه وسلم وكل مقرب عند الله

تم طبعه بمطبعة جريدة الاسلام في اوائل شهر رجب سنة ١٣٢٠ هجرية على صاحبها افضل الصلاة والسلام وازكى التحية